

روايات عبير



لوسى جيلين

أين المفتر؟

www.elromancia.com

مرمورية



أين المفر؟

مسألة التسليم للأمر الواقع تجعل أكثر القلوب وداعة وبساطة ومحافضة على التقاليد تحفل قليلاً، فكيف إذا كانت الفتاة تتمتع بميل الى المعرفة والمفاضلة والحرية؟

سامتا ترعرعت قرب بارني. السنوات كرت وهي لا تسمع من عمها ومن كل الذين حولها انها وبارني سيتزوجان عندما تبلغ السن المناسبة. فلم تعرف غيره ولم يخيل اليها ان شيئاً من هذا الواقع يمكن ان يتغير. قبيل موعد العرس اكتشفت انها لا تريد ان يفرض أحد عليها شيئاً... فقامت تجول البلاد هاربة من بارني وظله، متعرفة الى اشخاص من كل نوع وجنس. الا ان بارني تبعها حتى وجد الشقراء باتسي غوردن، فأنصرف يغازلها بلا هوادة...

تعال يا بارني، تعالي يا سامتا، فأين المفر؟

السودان ٨٠٠م	اليمن ٩ د	الكويت ٧٥٠ ف	لبنان ٨٠٠ د
U.K. £ 1	تونس ١ د	الامارات ١٠ د	سورية ٨٠٠ د
France F 10	ليبييا ٧٠٠ د	البحرين ١ د	الأردن ٦٠٠ ف
Greece Drs 150	المغرب ٨ د	قطر ١٠ د	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 1	مصر ٨٠٠ م	عمان ١ د	السعودية ٩ د

١ - من قطار الى قطار

أقلت سامنتا نظرة الى الخارج عبر نافذة القطار وتنهدت بعمق ثم رمقت المسافر الآخر في مقصورتها خشية ان يكون قد انتبه الى حالتها، لكنها رأتة غائصاً في قراءة الصفحة الاقتصادية من صحيفته اليومية منكفئاً على ذاته، على غرار غالبية المسافرين في قطارات الخطوط البريطانية. وكانت سامنتا في حالة من التحسر على ذاتها، لكنها لم تكن مستعدة ابداً للاعتراف بها ولو في قرارة نفسها.

لقد بدا زواجها من بارني وكأنه امر محتم وطبيعي. كان الجميع يسلم منذ زمن بعيد انها سوف يتزوجان يوماً ما حتى ان اياً منهما لم يفكر في البحث جدياً بالمسألة. هذا لم يمنعها من اقامة علاقات عابرة احياناً، كل على حدة حتى ان بعض اصدقائهم المشتركين لقبوا بارني «بوزير» نساء.

وكانت تربط بين والد بارني وعمها وهو الوصي عليها علاقات صداقة وعمل منذ سنين عديدة، وكان بارني قد عاملها معاملة طيبة منذ ايام الصبا حين كانا يلتقيان في الاجازات وفي النزاهات.

صحيح انه نجح مرة، اثناء عطلة امضاها برفقة عمته، في ان يجعلها تفضل طريقها وسط ريف اسكتلندا الموحش، لكنه كان اكثر افراد مجموعة البحث عنها قلقاً، وعثر عليها مرتجفة من البرد، خائفة القوى والدموع تنهمر بغزارة من عينيها، وقدم لها دمية صغيرة

تعويضاً عما مرت به ، وهي لا تزال تحتفظ بها الى اليوم . ولم يخبر احداً
غيرها انه تعمد تضليلها لكنها هي ايضاً لم تتكلم في الموضوع لاحد .
اعتراها الخوف لدى اقتراب موعد الزواج فلاذت بالفرار . كانت
تفادى التفكير بردة فعل عمها نيكولاس وقد عرفته وصياً كريم
الاخلاق . وطيلة الثمانية عشر عاماً التي اهتم بها فيها كانت تدرك ان
لتسامحه حدوداً وقد بلغت الحادية والعشرين من العمر وهي سن
اعتاد بارني على وصفها بانها سن الهفوات .

ها هي الآن تثبت له صحة ادعاءاته وكانت تدرك انها لربما
اخطأت في الرحيل سرّاً خاصة انه كان قد تمّ انجاز الترتيبات للزواج
واختيار فستان الزفاف ، والحقيقة انها خلال تجريب فستان الزفاف
عند الخياط ، رأت صورتها في المرآة وادركت ان الأمور على وشك
الاطباق عليها فلاذت بالفرار .

اخبرها الخياط انها تبدو رائعة الجمال في ثوب الزفاف وكانت
تعلم انه على حق : وجهها المتناسق الخطوط وعيناها الواسعتان
ولونها الأزرق الصافي تحت الرموش الطويلة والمكثفة كانت تلفت
الأنظار اينما وجدت . وغالباً ما كانت ترخي شعرها الذهبي الأحمر
الطويل وترفعه احياناً في تسريحة متكلفة كتسريحتها اليوم التي تعطيها
اكثر من عمرها . كان العديد من الرجال يعبرون لها عن اعجابهم
بجمالها وذلك اما شفهيّاً او عن طريق الالاماء بالنظرات . اما بارني
فهو الرجل الوحيد الذي يعتبر جمالها مجانياً . وهي الآن مصممة ان
تثبت له العكس .

نظرت مجدداً من النافذة فترأت لها محطة صغيرة وكأنها استراحة
لا غير وسط ريف ساري الشمس فنهضت بسرعة ولا شعورياً . لم
تكن تدري وجهة سفرها حين وصلت الى المحطة بل كانت متلهفة

للابتعاد عن ليل ديتوك وعن بارني واستعدادات حفل الزفاف ،
فابتاعت بطاقة لا تحدد نقطة الوصول .

ترجلت من القطار ووضعت حقيبتها على الرصيف واستقبلتها
نظرة استياء رماها بها رجل يلوح براية ، نظرت حولها تتساءل عما
ينبغي ان تفعل . لم تكن معتادة ان تعتمد على نفسها وادركت انه
اصعب مما تصورت .

نادراً ما كانت تسافر بمفردها ومتى فعلت كانت تكتفي بتحديد
وجهة سفرها مسبقاً فيتمّ تحضير جميع الوسائل لرفاهيتها .

وكانت مهمتها تقتصر عادة على طلب سيارة تاكسي واعطاء
السائق عنوان المكان الذي تقصده لكن الامر مختلف تماماً هذه المرة
فهي بمفردها وتجهل تماماً المكان الذي ستنزل فيه .

وقفت لبرهة تتأمل القطار الذي توارى متابعاً رحلته وقد ساورها
للمرة الأولى منذ مغادرتها المنزل انها لربما تهورت في اتخاذ قرارها
بالفرار . لكن الندم لا يجدي نفعاً فتوجهت نحو المخرج مستسلمة
لقدرها . التقت بالعديد من الناس وتساءلت اذا كان بإمكان
احدهم ان يرشدها الى مكان تنزل فيه ولو ليلة واحدة . فنظرت الى
موظف البطاقات وابتسمت له في محاولة لكسب مودته وقالت :

«تري ، هل تستطيع مساعدتي؟» .

أشرق وجهه وفاض ثقة ثم اجابها قائلاً :

«ربما استطعت يا آنستي . ماذا تريدن؟» .

«هل من فندق قريب؟» .

مدّ يده يحك مؤخرة رأسه حائراً ثم قال :

«لست ادري ان كان عندنا فندق بكل معنى الكلمة ، انما هناك
نزل صغير يدعى الميرميد عند آخر الشارع وهو يستقبل بعض النزلاء
من وقت الى آخر» .

لم تكن سامنتا متأكدة من استقبال النزول لها، لكنها استفسرت عن موقعه ثم شكرت الموظف مبتسمة وتوجهت نحو نزل الميرميد. لم تجد أية صعوبة في العثور عليه وفوجئت مفاجأة سارة حين تبين لها ان مبنى النزل قديم جداً وجميل وتكهنت انه يستقبل المسافرين منذ اكثر من ثلاثمئة سنة وان كان عددهم انخفض من قبل.

حوّلها رجل متوسط العمر وودود الى زوجته حين سألته عن غرفة، فاستقبلتها الزوجة بلياقة لم تخل من بعض الحذر. وفُسرت لها انها غير معتادة على استقبال الفتيات الآتيات بمفردهن وبهذه الفجائية. وتحجز الغرف عادة مسبقاً وقد حالفها الحظ اليوم اذ الغي حجز احداها في الصباح.

فقبلت سامنتا النقد غير المباشر الذي وجهته اليها المرأة وحدث المصادفات التي جعلتها ترفع شعرها عن عنقها والا لكان ظن الناس انها مراقة فارة من البيت العائلي. لم تحاول تفسير ظروف مجيئها. وقررت لعب دور المتمردة على اكمل وجه وعدم تبرير تصرفاتها لاي كان.

لم تستطع الاستحمام قبل العشاء وذلك لعدم وجود كمية كافية من الماء الساخن لكنها اغتسلت وبدلت ملابسها ثم هبطت السلم وادركت ان العشاء يقدم في قاعة طعام عامة.

كان المطعم قديم الطراز، لطيف الجو، يحتوي على العديد من الطاولات الصغيرة التي تتسع لشخصين او لأربعة اشخاص.

رأت سامنتا بعض نزلاء الفندق وقد جلسوا ازواجاً يتناولون طعام العشاء وخصصت لها طاولة لشخصين في احدى زوايا القاعة بجوار نافذة. اعلمتها صاحبة النزل انها قد تضطر الى مشاركة طاولتها مع احد النزلاء ان غص بهم المطعم فوافقت سامنتا بسرور.

بدأ الناس يتوافدون على المطعم اثناء تناولها العشاء. واحست

بشعور من الاثارة لكونها «فلتانة» كما يحب ان يدعوها بارني. لكنها ما لبثت ان قطبت حاجبيها لتفكيرها ببارني.

ما الذي يدفع بها الى التفكير دوماً بما يقوله بارني؟ فهي رحلت لتبتعد عنه وليس لتستمر في تطبيق اقواله على كل ما تراه وتسمعه.

انتهت من تناول وجبتها الاساسية ثم طلبت بعض الحلوى وجلست تنتظر وصولها. وراح نظرها يجول على رواد المطعم، متسائلة بتحفظ عن هوية كل منهم وطبيعة عمله وعن العلاقات التي تربط بين بعضهم، وكانت هذه هوايتها المفضلة اثناء تناولها الطعام في الاماكن العامة وغالباً ما كان بارني يسخر من عاداتها هذه. آه بارني! عضت على شفيتها بقوة وتشابكت يداها على الطاولة امامها لتفكيرها به مجدداً وقررت ان تمحيه من ذهنها.

احضرت صاحبة النزل الحلوى فتناولت سامنتا ملعقتها ثم التفتت حين تراءى لها ظل غطى الطاولة ورأت صاحبة النزل مجدداً برفقة شخص ينبغي تناول العشاء وكانت تبسم معتذرة حين سألتها: «هل تمانعين ان يشاركك هذا السيد طاولتك يا آنسة داوليش؟».

وكادت ان تمز رأسها مبتسمة مشجعة صاحبة النزل حين قاطعها الدخيل قائلاً:

«طبعاً لا تمانع، اليس كذلك يا سامنتا؟».

«انت!»

حدقت به سامنتا لبرهة مدهوشة ثم ادركت انه لحق بها او بالاحرى تقفى اثارها واحست بموجة من الغضب تحتاحها.

«بلى امانع!».

قالت سخطاً مما اربك المرأة التي راحت تنتقل بنظرها بينها. تجاهل بارني اعتراض سامنتا برباطة جأشه المعهودة وجلس الى الطاولة وهو يهز رأسه معاتباً ثم خاطب صاحبة النزل مطمئناً:

«لا تقلقي . سوف اقبل بهذه الطاولة . هلا احضرت لي لائحة الطعام؟»

«طبعاً ، طبعاً يا سيدي» .

هرعت تلبي طلبه رغم ارتيابها كان قد اقنعها انه يعرف الأنسة معرفة وثيقة وانها سترحب به واذا بالعكس . وهذا يحدث ومن حق رواد المطعم ان ينفردوا بطاوتهم ما دام ذلك ممكناً . عادت الى الطاولة ويدها لائحة الطعام ويدت لها الأنسة متزعجة جداً وقد تورّد خداهما فيها بدا القادم وكأنه غير معني بالأمر ابداً .

بعد ان اختار طعام عشائه خاطب بارني سامنتا قائلاً :
«انا سعيد بكوني فاجأتك مفاجأة سارة . كنت واثقاً من انك ستسرين لرؤيتي» .

«انت مخطيء . لست سعيدة ابداً لرؤيتك» .

وعبرت ملامح وجهها عن استيائها الشديد .

«آه ما بك يا سامنتا؟» .

مد يده باتجاه يدها واوشك ان يلامسها لو لم تسحبها بسرعة وحدثت به غاضبة ثم قالت :

«هربت للافلات منك وهل انت مضطر ان تلحق بي؟» .

«لست مضطراً . لكن العم نيكولاس كان قلقاً لرحيلك المفاجيء»
فعرضت عليه اللحاق بك واعادتك الى المنزل .

تناولت سامنتا القطعة الأخيرة من الحلوى وراحت تمضغها بتأن ثم ابتلعتها قبل ان تحييه بصوت هادىء :

«لن اعود الى المنزل» .

«آه . وهل قررت ان تهجري؟» .

وانزعجت سامنتا لاستخفافه بكلامها فاجابته بصوت حملته بكل الوقار الممكن :

«لم اقل اني في صدد الهجرة بل كل ما اريد هو الابتعاد عنك» .
«آه فهمت» .

«اشك في ذلك» .

اجابته سامنتا بحدّة ورمت ملعقتها على الطاولة بعنف مما لفت انتباه الرجل وزوجته الجالسين على الطاولة المجاورة فتبادلا نظرات متهمكة وقطبا حاجبيهما .
«احاول فهمك» .

ومد يده نحوها ونجح هذه المرة في التقاط يدها وتابع :

«اجهل سبب غضبك مني» .

كانت تجهل السبب لكنها اكتفت بالافتراض انها مستاءة منه للحاقه بها واعترفت له :

«لست غاضبة فعلاً منك» .

«لكنك لا تريد ان رؤيتي» .

هل يمكنك ان تقولي لي السبب؟» .

حاولت ايجاد الكلمات المناسبة للتعبير عما يخالجهما لكن بدون جدوى اذ كانت تجهل حقيقة شعورها ، فكيف لها ان توضحها له؟
فقالت :

«رغبت في الرحيل . هذا كل ما في الامر . ولست مضطرة ان اوضح لك كل خطوة اقوم بها . اليس كذلك؟» .
«بل!» .

«كلا! اعذري الان فاني مرهقة» .

لكن بارني الحّ عليها محاولاً الابتسام :

«وما سبب ارهاقك؟ فلم تقطعي سوى بعض الاميال في القطار وليس في عربة خيل» .

قطبت حاجبيها متسائلة للمرة الأولى عن الطريقة التي استعملها

للعثور عليها فسألته :

«وكيف علمت بمكاني؟».

فابتسم من جديد وقال :

«أه ليس من الصعب اللحاق بك يا عزيزتي . فالناس تلاحظك وخاصة الرجال منهم».

وإدارت سامنتا وجهها رافضة مواصلة النقاش فقالت :

«حسناً ، أرجو ان تتوقف عن ملاحظتي».

«متى تنتهي رحلتك؟».

«هذا الأمر لا يعينك».

«يعني ، ان كنت مصممة على التغيب يوم الزفاف».

«أريد . . . أريد البقاء وحدي».

«هل انت مضطربة بسبب اقتراب موعد الزفاف؟».

احمر خداهما من دون ان تفهم سبب ذلك فنهضت من كرسيها وقالت بثبات :

«كلا . انما أريد التحقق من امر قبل فوات الأوان».

سرت بالاسلوب المسرحي الذي خرجت به من القاعة رغم يقينها ان باري سيهزأ منها . وقررت الا تمكث هنا مدة اطول بعد ان علم بمكانها وفتشت عن صاحبة المنزل لتوضح موقفها ، وهذه بالطبع لن تسر بهذا التبديل ، لكنها كانت عازمة على الرحيل اذ لا جدوى من البقاء بوجود باري .

دفعت بعض المال تعويضاً عن الازعاج الذي سببته للمرأة وغادرت المنزل الى المحطة .

أوضحت لموظف البطاقات انها تلقت مكالمة غير متوقعة تطالبها بالعودة وراحت تتساءل عن سبب ابتسامته المتواطئة فتذكرت ما قاله باري عن سهولة تقفي آثارها . ورجحت ان يكون الموظف هذا

ساعد باري على ايجادها وارشده الى نزل الميرميد وهو الآن مسرور لمعاودتها الهرب .

ركبت اول قطار وصل المحطة من دون ان تكثرث لوجهة سيره لكثرة قلقها . واسترخت في مقعدها بعد ان اقلع القطار وايقنت انها سوف تقضي نصف الليل في القطار عوضاً عن سريرها المريح في نزل الميرميد . وكل ذلك بسبب باري .

كاد النهار الصيفي الطويل يشرف على نهايته حين توقف القطار في مدينة برايتون . وتنهدت بعمق حين حملت حقيبتها مجدداً وترجلت من القطار . كانت تود لو استطاعت متابعة السفر الى مكان ابعد غير ان القطار لن يكمل رحلته وعزت نفسها بان برايتون مدينة سياحية كبيرة مما يصعب على باري العثور عليها فيها . هذا ان كان لا يزال مصمماً على اللحاق بها . فقد يقنعه فرارها من النزل بجديّة اقوالها .

أدركت سامنتا انه من الصعب جداً العثور على غرفة خالية في منتجع سياحي في فصل الصيف وفي مثل هذه الساعة ارشدها شرطي اخيراً الى فندق صغير فركبت سيارة أجرة وقصّدت الفندق الذي كان بعيداً عن شاطئ البحر وخارج المدينة نفسها .

استطاعت الحصول على غرفة بسهولة وكانت صاحبة الفندق امرأة ودودة تعاطفت معها حين اخبرتها انها وجدت غرفتها المحجوزة في فندق آخر غير خالية ثم اخطأت في اختيار القطار المناسب مما تسبب في وصولها بهذه الساعة المتأخرة . ارشدها صاحبة الفندق الى غرفة صغيرة ولكن مريحة تطل على حديقة خلف المنزل . وقالت لها المرأة :

«تناسبك الغرفة تماماً يا عزيزتي» .

وابتسمت سامنتا شاكرة ثم جلست على حافة السرير وقد غمرتها الراحة .

بعد دقائق قليلة كانت مستسلمة لنوم عميق لم تفق منه الا لبرهة وجيزة على صوت خطى في الباحة تحتها لكنها عادت الى النوم مطمئنة البال، بارني لن يستطيع العثور عليها هذه المرة مهما حاول.

استيقظت في الصباح التالي وقد غمرت الشمس غرفتها وتشاءبت بكسل ورمقت ساعة يدها: الساعة تجاوزت الثامنة. وتذكرت ان الافطار يقدم بين الثامنة والنصف والتاسعة والنصف وكانت تشعر بجوع شديد ازدادت حدته اثناء توجهها الى الحمام، اذ داعبت انفها روائح البيض المقلي الشهوي وقد فاحت من مطابخ الفندق.

قررت المكوث في برايتون ليوم أو يومين وربما لمدة اطول ان راقت لها المدينة لكنها عزمت الرأي على مكاملة عمها وطمأنته فمن الظلم اقلاقه بهذه الطريقة، وقد تستغل الفرصة لتطلب منه ان يردع بارني عن ملاحقتها والا هددته بالتواري نهائياً.

استحمت وارتدت ثيابها ثم هبطت السلم متلهفة لتناول الافطار فدخلت قاعة الطعام المزدوجة واستقبلتها صاحبة الفندق بابتسامة عريضة وقالت لها بحماس:

«المكان ضيق بعض الشيء لكنني اضفت لك طاولة صغيرة ارجو ان تناسبك».

ابتسمت سامنتا ابتسامة لم تخل من الاعتذار وقالت لها: «غاب عن ذهني مدى انشغالكم في مثل هذا الوقت من السنة وانا آسفة لهبوطي المفاجيء عليكم ليلة أمس».

«آه لا تدعي هذا الامر يقلقك من السهل عليّ التكيف مع الوضع ولا احب رفض اي شخص في مثل هذا الوقت من السنة، فمن المؤسف ان تفسد عطلة احدهم بسبب التباس في الحجز».

«اشكرك على لطفك».

وعادت المرأة منهمكة بعد بضع دقائق وقالت لسامنتا.

«والغريب انه اتبني عترة شاردة اخرى بعيد قدومك».

قطبت سامنتا حاجبيها وتذكرت الأصوات التي سمعتها من الباحة ليلة أمس وسألت صاحبة الفندق بارتياح:

«وصل شخص آخر بعدي».

واومات المرأة ايجاباً وقالت:

«اجل قدم شاب ولا اقبل عادة ايواء عدد من الأشخاص يفوق طاقة استيعاب الفندق لكن قلبي لم يطاوعني على طرده فوضعت في غرفة ابني جورج وهو المكان الخالي الوحيد المتبقي ولم يمانع ابداً».

انقطعت عن الكلام ونظرت الى البعيد مبتسمة وملوحة بيدها، فيما غار قلب سامنتا باليأس.

«ها هو قادم الآن. لا مانع عندك ان يشاركك طاولتك. اليس كذلك؟ فهو شاب لطيف جداً».

ادركت سامنتا ان لا فارق ان مانعت او لم تمنع ورفعت نظرها لتشاهد ابتسامة بارني المشرقة تطل عليها. طوى قامته الطويلة وجلس الى الطاولة ولا حظت سامنتا نظرات الفتاة الجالسة الى الطاولة المجاورة تلحق بكل حركة من حركاته. كان يلفت الانتباه وخاصة انتباه فتاة تمضي اجازتها وفي ذهنها شيء واحد لكن سامنتا لم تستطع كبح جماح موجة الغضب التي اعترتها حين التفت نحو الفتاة وابتسم لها شاكراً اعجابها به.

كان يبدو وكأنه رجل اعتاد تمضية اجازاته خارج البلاد وكان غالباً ما يفعل ذلك. واكتسبت بشرته لوناً اسمر داكناً يبرز بياض ابتسامته شبه الدائمة وقد ورث عن جدة اسبانية عينين عسليتين وشعرًا اسود اصفت عليه ملامح شرقية فاتنة وهو يجيد استعمال سحرها متى اراد.

«صباح الخير يا سامنتا؟»

تحدّاهَا بابتسامته من القيام بأي عمل متهوّر وقاومت رغبتها في النهوض حالاً والاحجام عن تناول الافطار. لكن شدة جوعها وكرهها للمشادات العامة جعلها تعدل عن ذلك.

وهمست بحدة:

«اني اكرهك».

فضحك ثم قال:

«تعالِي يا عزيزتي ودعينا من هذه المأساة».

«ليست مأساة، انما لا اقبل ان تلحق بي عبر البلاد وكأني مجرمة».

وقال لها بصوت عبر عن قرب نفاد الصبر:

«القلق والمشاكل التي تسببها لنا هي من باب الاجرام».

ثمّت سامنتا لو كانا في مكان منعزل حتى تستطيع التعبير عن سخطها لكنها تماسكت وقالت:

«لا شيء يدعو للقلق. ارغب في العيش وحدي لبعض الوقت».

«بعيدا عني».

«نعم».

«لماذا؟»

لم تستطع تفادي نظره لكنها انتبهت في الوقت نفسه الى ان الفتاة الجالسة الى الطاولة المجاورة كانت تتفحصها باهتمام بالغ وكأنها اكتشفت اخيراً انها يعرفان بعضهما.

«وما ذنبي يا سامنتا؟»

صمتت سامنتا لبرهة وقد اشتبكت يداها على الطاولة امامها ثم

اعترفت:

«لست ادري بالتحديد».

سألها بلطف:

«الا تريدان الزواج مني؟»

«لست ادري ايضاً».

التزم الصمت الى ان قدّم الافطار فنظر اليها وابتسم ابتسامة عبرت عن بعض التفهم لدوافعها:

«الا تظنين ان مراجعة حساباتك أتت متأخرة بعض الشيء؟»

عضت سامنتا على شفتها لكثرة اضطرابها ثم قالت:

«انه... آه لا اعرف كيف اوضح لك. اشعر انه من الأفضل ألا اتزوجك. او بالأقل ما دمنا على هذه الحال».

«وما بنا؟»

شعرت سامنتا باحمرار خديها بشدة ولكنها فوجئت بافكارها تتجه نحو الفتاة المجاورة وتتساءل عن مدى تقييمها لوضعها.

«اعني، آه لسنا كغيرنا من المقبلين على الزواج. اليس كذلك؟»

«ويمّ نختلف عنهم؟»

احسّت انه يعتمد عدم التفهم لارباكها:

«اعني اننا لسنا... لسنا...».

فوجئت بالصعوبة التي لاقتها للتعبير له عن اسباب ترددها فالتكلم عن الحب سهل جداً متى تأكد الانسان من وجوده، لكنها ادركت لتوها انه الشيء الذي تفتقر اليه علاقتها. لم يتفوّه بارني مرة في حياته بكلمة احبك وهي لم تفكر فيه سوى كونه شخصاً اعتادته واعتادت فكرة الزواج منه تحقيقاً لتوقعات العديد من الاصدقاء.

وسألها وكأنه تكهن ببعض ما يحول في ذهنها:

«ماذا تحاولين اخباري يا سامنتا؟»

«اعني، اعني انك لم تغازلني ابداً».

لم يستطع اخفاء الابتسامة لسماعه لفظة المغازلة وقال بصوت

ناعم:

«آه فهمت. تريدني ان اغازلك هذه هي المشكلة؟»
«وهل هذا بالطلب المستحيل؟ ان معظم الفتيات يحظين ببعض الاهتمام من خطبائهن. اليس كذلك؟ ولم احرم من ذلك انا؟»
«عليّ اذن ان اسرع في تقديم باقات الزهور وعلب الحلوى لك واركن على ركبتي اكلملك عن لوعة حبي لك، اهذا ما يجول في ذهنك؟»

ايقنت سامتا لتوها انه يهزأ منها وشعرت برغبة جامحة في صفعه رغم الفضيحة والفتاة المجاورة لكنها تماسكت وقالت له:
«اني اكرهك».

«هذا الكره ليس قاعدة فضلى لزواج سعيد».
«انا سعيدة لموافقتك رأيي لربما توقفت الآن عن ملاحقتي وتركتني اسافر بمفردي حتى تبلور الأمور في ذهني».
«واترك العجوز نيكولاس المسكين يتلوع قلقاً عليك لا، لا يمكنني ذلك».

«يمكنك ذلك. فلست طفلة وبإمكاني الاهتمام بذاتي على افضل وجه. ولا داعي للعلم نيكولاس ان يقلق من اجلي وسوف اطمئنه عن حالي بين الحين والآخر».

«وما تنوين عمله اثناء رحلتك هذه عبر البلاد؟»
«الاستمتاع بكل ما حولي ولم لا؟».

«وحتى يتجرش بك كل الرجال الذين يؤمنون بالمنتجعات السياحية بحثاً عن النساء كهذا الجالس في الزاوية هناك الذي لم يتوقف عن رميك بنظرات هائمة منذ لحظة دخولك الى القاعة».
رفعت سامانتا كفيها غير مبالية وهي لم تكن قد لاحظت الرجل ابداً وسرها ان تكون ممسكة بزمام الأمور في هذه اللحظة وقالت لبارني:

«ربما... ولم لا؟ ما الفرق بينه وبين تلك الشقراء السمينة التي تغازلها بنظراتك؟».

وابتسم بارني هازناً وقال:

«اراك تغارين منها».

وجاهدت على نفسها كي لا تصفعه ولمست لأول مرة قدرته على اغاظتها احياناً فقالت له:

«لا اغار ابداً».

وهز رأسه ثم ابتسم مدعياً بعض الحزن:

«اذن فالجسور فعلاً مقطوعة بيننا. لو كنت تشعرين بأي شيء تجاهي لكنت مستاءة من مغازلتني لها».

وقالت بسرعة:

«لكن هذا الوضع ليس جديداً بالنسبة اليّ. فلقد اخبرني مارتين وسيلفيا انك لا تضع وقتك مع النساء في غيابي فلم تقلقني شقراء تزيد أو تنقص».

ورمقها بارتياح ثم قال بعد لحظة:

«آه. فهمت. لم افكر في حياتي انك تصفين الى هذا النوع من الأحاديث المفترية والتافهة يا عزيزتي».

واحرّ خداهما وتمنت لو لم تهوّر في الاجابة وتعطيه هذا الانطباع الخاطيء عن ذاتها فقالت:

«اطلعت على وقائع ولم ابال ابداً لنشاطاتك».

ونظرت الى وجهها المحتقن والغاضب ثم ابتسمت وقالت:

«ابداً؟».

«ابداً. انت مستحيل يا بارني ارفض الجلوس هنا والخوض في نقاش معك. افعل ما تشاء فاني راحلة ولا يهمني ابداً ما تفعل ما

دمت بعيداً عني».

«لا تمنعيني اذن في مجالستي لجارقي الشقراء اللطيفة هذه؟»
ولمعت عيناه بسخرية فحدقت به سامنتا وصاحت:
«افعل ما تشاء فانا لا ابالي».
«حسناً».

رمقته بارتياح ثم سأله:

«هل تعني انك ستكف عن ملاحقتي؟»
ابتسم قائلاً:

«لم اقل هذا يا عزيزتي».

«هلا توقفت عن منادائي «عزيزتي» لم تكن تستعمل هذه اللفظة
ابداً من قبل وها انت استعملتها عشر مرات على الأقل منذ
البارحة».

«هل انت متأكدة؟ لم يخطر ببالي ان اعددها لكنك طالبتني بمغازلتك
يا عزيزتي فلربما هذه هي الخطوة الأولى».

لم تحبه سامنتا بل نهضت بسرعة من كرسيتها ومشت بخطى ثابتة
الى باب القاعة وقد لحقت بها نظرات صاحبة الفندق الفضولية
والقلقة في آن واحد. وادركت سامنتا ان رحيلها سوف يشجع حتماً
الفتاة الشقراء على استغلال الفرصة السانحة لها، ولكن لتفعل ما
تشاء فسامنتا متأكدة انها غير مبالية ابداً بمغامرات بارني العاطفية.

٢ - تلال برايتون

ما لبثت سامنتا ان اكتشفت ان حياة فتاة بمفردها في منتجع
سياحي كبرايتون مليئة بالمحاذير، فهي تعطي انطباعاً خاطئاً عن
نواياها حتى اثناء التنزه سيراً على الاقدام لبعض الوقت.
وبعد عشرين دقيقة على سيرها في الشوارع كانت عيون عشرين
رجلاً قد عرضت عليها مئات المشاريع.

لكن برغم ذلك شعرت ان مزاجها المتوتر في هذه اللحظة يتوافق
والجو السائد، وان كانت تكرهه في الأحوال العادية. تأملت الفنادق
الكبرى والفخمة المواجهة للبحر فاعجبت باحدها وقررت الدخول
والاستفسار عن غرفة.

اقتربت من موظفة الاستقبال تبسم آمله. فاجابتها الموظفة ان
هنالك غرفة لشخص واحد خالية بسبب الغاء الحجز.

فدفعت سامنتا عربوناً عن الغرفة ووعدت الموظفة انها سوف
تحضر حقائبها لاحقاً. وبعد ان شكرت المرأة هبطت سلم مدخل
الفندق وعادت الى التنزه على الجادة المحاذية للشاطئ وقررت ان
تذهب لاجتماع حقائبها ثم تناول الغداء في فندقها الجديد.

لكنها لم تكذب نخطو بضع خطوات حتى شعرت بيد تمسك ذراعها
فجأة وتوقف سيرها. ذعرت برهة لفجائية اللقاء هذا وكادت تنفَس
الصعداء حين ادركت انه بارني، لكن سرعان ما انتقلت من الذعر

الى الغضب وسحبت ذراعها من قبضته فيما قالت:

«كان عليّ ان افهم انه انت».

«وهل خاب املك؟».

رمقته بطرف عينها لبعض الوقت محاولة احباط عزمته لكنه ضحك وقال:

«حسناً. لا تنظري الي بهذا الشكل. لحسن حظك انني انا وليس غيري من اولئك الرجال الهائمين حولك. ولكن كان قصدك ان تعلقي في شباك احدهم؟ ان كان هذا قصدك يا عزيزتي فمن الأفضل لك ان تعتمري قبعة كتب عليها «عانقي بسرعة» او اية عبارة ترحيب اخرى!».

«وهل تظن اني قد اقدم على عمل كهذا؟».

«انك تحاولين جهديك لحملني على تصديق هذا، واطن انه من الأفضل لك ان تأتي وتتناولي الغذاء برفقتي قبل ان تنفوي بجملته سوف تندمين عليها لاحقاً».

وقبض على ذراعها بقوة ودفعها الى السير وسط الجادة المزروجة لكنها افلتت منه مجدداً وقالت له بثبات:

«لن اتناول الغذاء معك بل سأتناوله في...».

وتوقفت لتوها متفاديه اعطاءه عنوانها الجديد وانخفضت عينيها. نظر اليها بارني بصمت لبعض الوقت وتساءلت عما يحول في ذهنه في هذه اللحظة ثم سمعته يقول:

«ارى انك لم تضيعي وقتك. اليس كذلك؟».

وفهمت اخيراً قصده: لقد ظنّ انها على موعد مع شخص التقته في الصباح. وهو فعلاً يسيء الظنّ فيها وبذلك لن يستطيع لومها اذا ما جارت رأيه فيها.

ادارت رأسها بتحدّ ونفضت شعرها الذهبي الأحمر عن جبينها

وقالت:

«لا يتطلب الأمر وقتاً طويلاً».

«هكذا يبدو لي».

خيّل لها انها لمست مسحة من الغيرة في نبرته ولم يكن بارني مرة هكذا في حياته وخاصة بالنسبة اليها. وسألها:

«هلا قلت لي اين عثرت عليه؟».

وتجهلت سامنتا قبل الاجابة ثم قالت:

«في... في فندقتي الجديد».

«آه، فهمت لقد هربت مني مجدداً اليس كذلك؟».

«طبعاً».

«آه... آه».

تفحصته سامنتا بارتياح وسألته:

«وما تفكر الآن؟».

ابتسم ساخراً ثم ضحك وقال لها:

«لا شيء. ومتى ستغادرين فندقك الحالي؟».

«اني على وشك الذهاب لاحضار حقيقتي ولست بحاجة الى مساعدتك. شكراً لا اريدك ان تلحق بي مرة اخرى».

«آه. لا انوي ابدأ التدخل بينك وبين صديقك الجديد».

راحت تتساءل عن سبب اختلاقتها لهذا الرجل وموعدها معه فلن يتأخر بارني عن اكتشاف كذبها وياشرت تقول:

«انا... انا».

لكنها لم تستطع المتابعة فهي لم تعهد الكذب وتعلم ان بارني يملك موهبة خارقة تحوله معرفة الحالات التي تكذب فيها من غيرها. وخطبها قائلاً:

«ان كنت ترفضين مساعدتي لك في احضار حقائبك فمن الأفضل

لي ان ابحث عن مكان اتناول فيه غدائي». وسمعت نفسها تعتذر منه لا شعورياً: «انا آسفة».

«وما انت آسفة؟»

«من... آه دعني من هذا الأمر».

وهرعت الى موقف سيارة الأجرة واطمأنت الى انه لن يلحق بها مجدداً.

كانت قاعة الطعام في الفندق الجديد اوسع من الفندق الاول ووجدت نفسها مجدداً جالسة بمفردها الى طاولة لشخصين، الى ان بلغت الجزء الثاني من وجبتها اذ رفعت نظرها ورأت ابتسامة مترددة تطل عليها.

كان الرجل حديث السن يكبرها بسنة او سنتين، وسيم الملامح هادئ الشخصية. بني الشعر ازرق العينين، راح ينظر اليها وكأنه يعتذر عن تطفله. ابتسمت له سامنتا تشجعه فجلس.

«لم ادر انني سأحظى ببعض الرفقة اخيراً؟ ما هذا المكان الذي وضعوك فيه».

وضحكت سامنتا ثم قالت:

«لا ادري كيف استطاعوا تدبير هذا المكان لي. اظن ان الحظ حالفني لقد وصلت في الوقت المناسب بعد ان انغي حجز احدى الغرف».

«يا لحسن حظك».

وابتسم ابتسامة ودية ولطيفة ثم تابع:

«هل تسمحين لي ان اعرف عن نفسي».

ومد يده فوق الطاولة وقال:

«من الصعب ان تصدقي لكني انا فعلاً بيل سميث».

وابتسمت له سامنتا فيما شعرت انه ابقى يدها بين يديه مدة اطول مما تفرضه مجرد اللياقة ثم قالت:

«سامنتا داووليش».

«سامنتا... احب هذا الاسم ولم اتعرف على شخص يحمله من قبل».

«لا اظن انني تعرفت على شخص اسمه بيل سميث من قبل».

ضحكا سوية. وفكرت سامنتا ان الأمور بينهما تسير على احسن وجه.

قبلت دعوة بيل سميث للتنزه على التلال الجنوبية للمدينة من دون تردد واعترفت لنفسها انها نسيت بارني تماماً. قادها بيل سميث في سيارة ضخمة ومريحة، وهو اسلوب السفر الذي اعتادته وتفضله على خطوط السكة الحديدية البريطانية. ثم عادا الى الفندق لتناول العشاء.

رفض صديقها الجديد الابتعاد عنها خاصة بعد ان انتبه الى نظرات احد التزلاء التي هامت حولها طيلة العشاء فوافقت سامنتا على تمضية السهرة برفقته ايضاً. رقصا سوية ثم تمشيا على الشاطئ يتحادثان في شتى المواضيع وعرفت سامنتا اخيراً انه اسكتلندي.

عادا الى الفندق في ساعة متأخرة من الليل وشعرت سامنتا بمزيج من السعادة والارهاق. ودخلت غرفتها واضاءت النور واذا بها تقف مدهوشة وتحبس انفاسها. رأت علبة من الحلوى على الطاولة المجاورة لسريرها وقد تسبب واضعها في اراحة سماعة الهاتف من مكانها وكانت الحلويات من النوع الذي تفضله. اما السرير فقد اكتسى بياقة من الزهور عبق جو الغرفة بعطرها.

وقفت لشوان عدة تتأملها وتكهنت بهوية مرسلها ولكن قبل ان يتسنى لها التحقق من ذلك سمعت قرعاً على الباب.

كان بيل سميث هو الطارق وبدأ يعتذر لها حين فتحت الباب وكأنه ظن انها منزعة لقدمه وتطفله عليها وممس قائلاً:
«اني آسف ان اطرق بابك في مثل هذه الساعة من الليل ولكني تلقيت لتوي مكالمة من مكتب الاستقبال تعلمني ان هاتفك مشغول وهم عاجزون عن الاتصال بك وقد علموا بقدومنا سوياً فارادوا اخبارك انك تلقيت بعض الأغراض في المساء»
وتخطاها بنظرة باتجاه الأزهار ثم قال:
«آه. لا بد انك علمت بالأمر»
«نعم شكراً لك»
قطب حاجبيه لبرهة وكأنه مستاء للفكرة ثم قال:
«لا بد ان يكون قد ارسلها احد المعجبين»
ابتسمت سامنتا وقالت:
«ليس فعلاً. بل اظن انه صديق قديم كنت على وشك ان اقرأ البطاقة حين طرقت بابي»
وألقت نظرة لا شعورياً على البطاقة وتعرفت بسهولة على خط بارني العريض والجريء»
وقرأت بصمت ما كتب على البطاقة.
«عزيزتي، لم تبق سوى ايام قليلة تفصلنا عن الثاني عشر من الشهر يا حبيبتي. الامضاء، بارني»
قلبت البطاقة بسرعة بين اصابعها لكنها لم تستطع منع بيل سميث من قراءة الكلمات، وسمعتة يقول:
«انه اكثر من صديق قديم طبعاً»
تنهدت بعمق وكان مشاكل الدنيا جميعها تراكت على كتفها:
«انه. انه نوع من حب قديم. لكنه يمتلك روح فكاهة غريبة»
«آه فهمت»

«شكراً لك لقدمك يا بيل»
رفع كتفيه وبدأ اقل سعادة من قبل حين رافقها الى غرفتها وقال:
«لقد فعلت ما طلب مني. فهم عجزوا عن اخبارك اثناء صعودنا الى الغرف وارادوا التأكد من ايصال الخبر اليك»
«شكراً لك مجدداً يا بيل»
تردد لحظة ثم قال:
«اما زلت على رأيك في مرافقتي الى المنتزه صباح الغد؟»
«طبعاً يا بيل»
«حسناً»
سمعتة يتنفس الصعداء ثم قال:
«خشيت للحظة ان يفسد تدخل هذا الرجل مشاريعنا»
«لا. ابدأ. اني متلهفة لمرافقتك»
عاد بيل الى غرفته واقتلت الباب بعد رحيله تتردد بين الغضب والابتسامة. ادركت انه بات من الصعب عليها التخلص من شبح بارني بعد ان شرع بالتصرف على هذا النحو. تناولت الازهار وتنشقت عبيرها الممتع واعترفت لنفسها ان بارني يعرف حقاً مدى شغفها بازهار الزنبق والريحان.
هبطت سامنتا الى صالة الطعام في الصباح التالي لتناول الافطار وتفحصتها ببعض القلق لكنها لم تجد أثراً لبارني.
كانت تخشى ان يكون قد لحق بها بعد ان عرف مكان وجودها.
توقعت ان تجد شيئاً الى جانب طبقها لادراكها ان بارني مصمم على متابعة التودد اليها وارتاحت حين لم تجد اية ازهار او هدايا اخرى لكنها حين عادت الى الفندق لتستعد للغداء ناوها موظف الاستقبال علبه صغيرة واخبرها مبتسماً ان رجلاً قد تركها لها اثناء غيابها.
احتارت سامنتا بين قبول الهدية او رفضها لكنها كانت فضولية

لمعرفة محتواها فأخذتها الى غرفتها وفتحتها.

كانت الهدية عبارة عن منجد من الذهب الدقيق السبك يفتح ليظهر صورة شمسية غير ناجحة لبارني ظنت انه اخذها خصيصاً لهذه المناسبة. تأملت الصورة لبضع دقائق وعجزت عن السيطرة على ارتجاف اناملها اثناء قراءة الكلمة المرافقة للصورة والتي كتبها بارني بخط يده:

«مع حبي الخالص. بارني».

هزت رأسها واعادت طي الورقة ووضعتها والمنجد في العلبة الجلدية ثم في حقيبة يدها ولم تزل مترددة بين قبول الهدية ورفضها. لم تخبر بيل سميث عن الهدية حين لاقاها لكنه سألها عن اخبار ما سمته بحبها القديم. فاكثفت بهز رأسها وانتقلت بسرعة الى موضوع آخر.

سألها اثناء العشاء ان كانت راغبة في الرقص ووافقت سامنتا بلهفة فهي شغوفة بالرقص لكن بارني لا يشاركها شغفها هذا فنادراً ما كانت ترقص معه.

«سوف يسعدني ان ارقص».

وابتسم مسروراً ثم قال:

«في مكان لطيف ورومنطقي. ارجو الا تظني انني استعجل الامور لكن لم يبق امامي سوى يومين قبل عودتي الى المنزل».

«تسكن في اسكتلندا اليس كذلك؟».

أوماً ايجاباً ثم قال:

«في قرية صغيرة تدعى بارشيل ان ذهبت اليها لوجدت انها قرية مملّة للغاية».

لكن سامنتا هزت رأسها وقالت:

«انا متأكدة من العكس. احب اسكتلندا كثيراً ولقد امضينا

العديد من اجازاتنا فيها حين كنا اصغر سناً».

«برفقة عائلتك؟».

اخفضت عينها مرتبكة فهي لا تحب الكذب لكنها ترفض التطرق الى موضوع بارني مجدداً فقالت:

«مع بعض الاصدقاء».

انحنى بيل بانجهاها وغطى اصابعها وهمس:

«ارجو ان تأتي لمشاهدة بارشيل يوماً فان كنت تحبين اسكتلندا

فسوف تعشقين بارشيل».

وابتسمت سامنتا وقد طرأت فكرة مفاجئة وجريئة على ذهنها فقالت:

«ربما اتيت في المستقبل القريب. مضى وقت طويل على زيارتي الاخيرة لاسكتلندا».

«هل انت جادة؟».

«نعم».

«ولكن لم اكن متأكداً... هل لديك وظيفة أو عمل يضطرك الى العودة؟».

«كلا. فأنا ما يسمى عادة بسيدة متفرغة وفي الوقت الحاضر

اكتفي بالسفر عبر البلاد على متن قطارات الخطوط البريطانية».

كان ما يزال محتفظاً بيده على يدها لكنه راح ينظر الى غطاء الطاولة الناصع البياض ثم سألها اخيراً:

«هل تقبلين العودة برفقتي نهار الخميس؟».

وتسارعت خفقات قلب سامنتا كالمجنونة فيما فكرت في العودة

فهي تجهل كل شيء عن هذا الرجل. صحيح انه لطيف جداً

وجذاب وصريح لكن من الغياوة ان ترافقه الى اسكتلندا بناء على

معرفة يومين فقط. وتمتمت مترددة:

«لا ادري!».

شدد قبضته على يدها وقال لها متوسلاً:

«ارجوك. لا تكوني فكرة خاطئة عني، فعائلتي موجودة هناك وانا متأكد من انها سترحب بك. نادراً ما يزورنا احد».

«لكن هل انت متأكد من انهم لن ينزعجوا لمجيئي؟».

بدأت تميل اكثر واكثر نحو قبول الدعوة خاصة انه لن يسهل على بارني اللحاق بها.

رفع بيل سميث كتفيه العريضتين وقال:

«ليس هناك سوى والدي وابن عمي. وهما ابعد مما يكون عن النساك ونادراً ما نتلقى زيارة امرأة باستثناء السيدة ماعس وهي التي تعنى بشؤون المنزل».

«تبدو لي الفكرة رائعة».

«وهل تأتين؟».

نظرت اليه سامنتا وقد ساورها الشك برغم اغراء فكرة مرافقته وقالت له مبتسمة بحزن:

«لست اكيدة من صواب فكرة ذهابي معك فمعرفتي بك تعود الى يومين فقط يا بيل. وقد يكون الناس، وعائلتك بصورة خاصة انطباعاً خاطئاً عني».

امسك يدها بأسلوب صريح هذه المرة والتفت انامله حول راحتها واعترف لها:

«هذه هي المرة الأولى التي ادعو فيها فتاة لمرافقتي الى المنزل يا سامنتا. انت شخص فريد بالنسبة الي».

وابتسمت ثم قالت:

«وانت لطيف جداً».

لم تنتبه الى تقطيع حاجبيه امتعاضاً للصفة التي نعته بها.

اخبرها بيل سميث في الصباح التالي انه مضطر للذهاب الى لندن للبحث في بعض القضايا المتعلقة بعمله والبقاء فيها النهار بكامله ولكن وعدا بالتفرغ لها نهار الغد بكامله واقترح قائلاً:

«بامكاننا التنزه غداً في التلال مرة اخيرة. ما رأيك؟».

«عظيم».

كانت الشكوك بدأت تساور ذهن سامنتا حول صواب قرارها بمرافقة بيل الى اسكتلندا لكنها كانت قد حصلت على عنوان منزله واخبرت عمها نيكولاس انها سوف تقصده قريباً.

شعرت ان ابتعادها عن بارني يتيح لها بلورة الأمور في ذهنها واتخاذ القرار النهائي حول قضية زواجهما، وهي ترفض حالياً فكرة الزواج رفضاً قاطعاً. وقد اخبرت العم نيكولاس بذلك لكنها كانت تشعر بحنين غريب الى المنزل والعيش بالقرب من بارني وتجد صعوبة في تجاهل هذا الاحساس بخفة روح.

اعترفت في قرارة ذاتها انها اشتاقت ليل اثناء تغيبه وراحت تنتزه بمفردها على الشاطئ جاذبة انظار الشباب كالعادة بفستانها الأزرق الفاتح اللون الذي كان يبرز بشرة ذراعيها وظهرها السمراء الناعمة وبشعرها الذهبي الأحمر المتدلي على كتفيها.

رأت مجموعة من الشباب تتجه نحوها وسمعت دوي صفارات الاعجاب التي اطلقوها نحوها، لكنها لم تجد سبيلاً لتفاديهم وشعرت بالحرج الشديد حين اقتربوا منها وامطروها بملاحظاتهم البذيئة.

شعرت فجأة بلذراع تلتف حول خصرها ورأت تعابير وجوه الشباب الظافرة تتحول فجأة الى مرارة ساخرة، وتنفس الصعداء لادراكها لا شعورياً ان بارني هو الذي انقذها من هذا الموقف وسمعته يسألها:

«ترى ما حدث لصديقك هذا الصباح؟».

«تعني بيل؟ لقد ذهب الى العاصمة لانجاز بعض الأعمال».
«وهل اسمه الحقيقي بيل سميث؟».

ثم ضحك لكن سامتا عبست في وجهه وقالت:
«اجل. ولا ارى ما هو مضحك في اسمه. فهو اسم كغيره».
«سمعت انه اسكتلندي».

«يبدو لي انك اتصلت بالعم نيكولاس».

«نعم. فقد كلمني هذا الصباح».

سارا سويلاً لبضعة امتار وراحت تتساءل عما اذا كان لدى باري
اعتراض على ذهابها الى اسكتلندا مع بيل فمن المؤكد ان العم
نيكولاس اخبره عن مشروعه. ولم يخطر في بالها ازاخه يده عن
خصرها. وقال لها فجأة:

«اود التحدث اليك».

ودفعها الى مبنى صغير يحتمي فيه الناس من المطر عادة وقال لها:
«اجلسي».

لم يترك لها المجال للعصيان فجلست في زاوية من المبنى ويداها
متشابكتان على حضنها تتفادى النظر اليه وكأنها خائفة منه.

ترأى لها وجهه الداكن ولمست فيه مسحة من القساوة نادراً ما
رأتها وامسك بيدها وارغمها على النظر اليه قبل ان يتكلم قائلاً:

«هل انت جادة في قرارك بمرافقة هذا الرجل الى اسكتلندا؟».

عضت سامتا على شفتها لقساوة سؤاله وقالت:

«نعم، نعم انا جادة».

«هل جننت؟ انت تجهلين كل شيء عن هذا...».

«ان كنت ستطلق عليه اسماء على هواك، فلن اتكلم».

وقطبت سامتا حاجبيها محاولة اخافته لكنه ضحك وقال:

«لا تحاولي اخافتي بعبوسك في وجهي. تشبهين قطرة صغيرة لا

تخيف ابداً».

«اتركني وشأني».

وسحبت يديها من قبضته.

«ان كنت عازمة على السفر الى مجاهل البلاد برفقة غريب اظن ان
هذا من شأنى ايضاً. فلي بعض الأفضلية عليك».

«لم يعد لك اي افضلية علي».

«أه فهمت».

حرق فيها بثبات لبعض الوقت وقد فاضت عيناه الداكتان جدية
ثم قال:

«حسناً، لكنك لن تغلتي مني بهذه السهولة يا عزيزتي فليس من
عادي التنازل عن اي شيء بهذه السهولة».

«اي شيء؟! انت تنعتني بالشيء وكأني جزء من مؤسسة داووليش
وفوستر».

«نعم».

«انا لست شيئاً يتداوله الناس كأسهم الشركة اريد اتخاذ القرار
بذاتي يا باري وارفض الانجراف بمخططات عمي ووالدتك التي
تدعو الى زواجنا من اجل تأمين مستقبل الشركة».

نظر اليها باستهجان وكأنها لم تخطر بباله هذه الفكرة ابداً وسألها:
«وهل هذا هو المنظار الذي تقوّمين من خلاله الأمور».

«نعم، طبعاً. فالكل يتوقع منا ان نتزوج مذ بلغت سن الرشد
ولقد سئمت هذه الحال».

«يبدو لي اني اعتبرت ايضاً حجراً من احجار اللعبة، في هذه الحال
ينطبق علي ما ينطبق عليك».

«اذن ينبغي ان تشكرني لاناحتي لك الفرصة للافلات من هذه
اللعبة».

ومد يده نحو يديها وامسكها من غير ان تمنعه من ذلك وشعرت
بحاجة ماسة الى البكاء في هذه اللحظة وسمعته يقول لها بصوت
هادئ:

«اظن اني لست راغباً في الافلات منها».

صمتت سامنتا للحظة فيما تسارعت خفقات قلبها كالمجنونة
وثمنت لورا فقت بيل الى لندن في الصباح وتفادت بذلك هذا اللقاء
والشكوك التي ولدها. لكنها سمعت نفسها تقول ببطء.

«اني ذاهبة الى اسكتلندا برفقة بيل يا بارني انا بحاجة الى التفكير
في العديد من الأمور».

«وهو لن يتوانى عن استغلال الفرصة التي سنحت له. آه! يا
سامنتا لا تتصرفي بهذا المقدار من الحماسة».

«كف عن التصرف وكأنك مالك أمري. سأرافق بيل وهذا قرار
نهائي».

نهضت من كرسيها فيما مكث بارني ينظر اليها بعينين قاسيتين
فاضتا عزمًا وقال لها:

«ليس نهائياً يا عزيزتي، لم انته منك بعد».

٣- عنتره

«سوف اتوقف- عفواً نتوقف، لقضاء الليل في بلدة بوينز هل
تعرفينها؟».

كان بيل يتكلم اثناء مرورهما على طريق عصفت بها الرياح.
«انها في منطقة البحيرات اليس كذلك؟».

كانت سامنتا قد نسيت ان الرحلة الى اسكتلندا تستغرق اكثر من
يوم وتقع منطقة البحيرات في منتصف الطريق ويرتاح فيها معظم
المسافرين الى اسكتلندا.

«انها قرية رائعة وهي اكثر هدوءاً من غيرها في منطقة البحيرات
وفيهما مناظر طبيعية لا تقل جمالا عنها».

«آه- مضت سنوات عدة على زيارتي الأخيرة للبحيرات. واظن
انها المرة الاولى التي اذهب فيها الى بوينز».

صمتت لوهلة تفكر انه لا بد ان يكون بيل قد حجز مسبقاً غرفة له
فيها قد تجد صعوبة في ايجاد غرفة لها فقالت:

«اتساءل ان كنت سأوفق بغرفة لنفسي اذ تحجز الغرف مسبقاً
عادة اليس كذلك؟».

التفت بيل للحظة نحوها ورأت ملامحه الوسيمة وقد فاضت
بتعابير لم تعهدها من قبل ثم قال لها بلطف:

«ليس دائماً. لكنني فضلت التأكد من الأمر فخابرت فندق ستاغ

وحجزت لك غرفة فيه حالما ايقنت انك سوف ترافقيني - لم اشأ ان
تغيري رأيك في اللحظة الأخيرة».

«شكراً لك على اهتمامك بي».

لم تكن متأكدة من تحمسها لمحاولة بيل تولي كل شؤونها بنفسه
لكنها كانت عاجزة في الوقت الحاضر عن القيام بأي عمل حيال هذا
الأمر وسمعتة يقول لها:

«اهلاً وسهلاً بك».

لم ترق لها اللهجة التي استعملها فقالت:

«لا- لن انزل ضيفة عليك لكني شاكرة لك حجزك غرفة لي».

«ارجوان تعتبري نفسك ضيفتي يا سامتا، فانا الذي دعوتك».

«لكني قادرة على دفع ما يتوجب عليّ. وافضل ذلك يا بيل. ان
كنت لا تمنع».

قُطِب حاجبيه للحظة ثم رفع كتفيه مدعئاً، وقال:

«لك ما شئت، فالمهم لي هو رفقتك».

كان الفندق صغيراً وقديماً وقد اضنى الجوع سامتا بعد هذه
الرحلة الطويلة فالتهمت وجبة الطعام المقدمة لها بشهية ثم خرجا
سوية للتمتع بغياب الشمس فوق البحيرة. وراحت سامتا تتأمل
القوارب الصغيرة المتأرجحة على صفحة مياه البحيرة الهادئة وعلى
متنها بعض السياح وقد جلسوا يتمتعون بجمال المناظر الطبيعية من
وسطها، ورغبت في ان تفعل مثلهم.

سمعت بيل يقول لها وكأنه قرأ افكارها:

«ما رأيك في ان نلحق بهم؟».

ابتسمت سامتا وأومأت إيجاباً:

«عظيم- تبدو لي فكرة رائعة».

جلسا في مقاعدهم بين عدة رجال ونساء آخرين. بدوا كأنهم

يبحثون عن جوار ومنطقي يعيش فيه كل واحد منهم احلامه برفقة
حبيبته. وابتسم لها بيل حين لاحظت الأزواج ومدّ ذراعه بتردد على
حافة القارب من ورائها.

لم تعترض على حركته لكن قلبها راح يخفق بسرعة جنونية حين
راحت انامله تداعب ذراعها بلطف بعد ان ابصر الزورق الى عرض
البحيرة التفتت نحوه ونظرت اليه مرتبكة فقال لها:

«المنظر رائع اليس كذلك؟».

«اجل رائع».

عادت سامتا الى تأمل الطبيعة من حولها وغرقت في سحر الجبال
المحيطة بالبحيرة والمكسوة بالغابات الظليلة فيما انعكست اشعة
الشمس المطفأة تدريجياً على صفحة الماء الساكنة وكأنها من الذهب
الصافي وارتاح جسم سامتا لا شعورياً على ذراع بيل لكنها شعرت
فجأة بانامله تداعب اذنها اليمنى فالتفتت نحوه وصاحت:

«بيل».

صدمتها فجائية حركته خاصة انها كانت مسترسلة في التفكير
ببارني تتساءل هل توقف عن ملاحقتها وعن حاله ومكانه، واذا بوجه
بيل الوسيم وابتسامته تتشبهها من احلام اليقظة وتعيدها الى الواقع.
وسمعتة يقول لها بصوت خافت وهو يدل الى الناس من حولهم:

«يبدو لي ان الجميع يفعلون ما فعلت».

«لكننا مختلفان عنهم».

«اظن انك على حق».

بدا خائب الظن وشعرت ببعض الذنب لتأكدتها من انها مستمرة
في اعطائه الانطباع الخاطيء عن نواياها بمرافقتها له فابتسمت ورائته
يستجيب بسرعة اذ قال:

«هل انت نادمة على مجيئك برفقتي».

«لا يا بيل. كنت بحاجة الى الابتعاد الى مكان حيث...»
وكادت ان تكمل جملتها به الى مكان حيث لا يقدر بارني اللحاق
بي، لكن تذكرت ان بيل يجهل تماماً حقيقة علاقتها ببارني.
«رأيتك غارقة في الافكار. هل من امر يقلقك؟»
«لا ابدأ فالعم نيكولاس يعلم بمكاني او بالاحرى انه يعرف انني
في طريقي الى اسكتلندا برفقتك».
«وهل مانع في ذلك؟»
«كلا، لم يمانع».

تفادت النظر اليه وهي تحجب فقد اعترض العم نيكولاس بشدة
على قرارها لكنها اصررت انها لن تقبل الزواج على النحو المقرر، وانها
بحاجة الى التفكير به اولاً ثم تقرر نهائياً ان كانت تريد الزواج من
بارني او لا، وهي تظن ان الجواب سيكون نفياً وايقت ان بارني
سيلقى كل التشجيع على الاستمرار في ملاحقتها من قبل العم
نيكولاس الذي كانت تعرف قوة ارادته وعناده.
سكت بيل قليلاً برغم يقينها انه لم يقتنع تماماً بكلامها ثم ساعدها
على الترتل من الزورق وعادا الى الفندق.
جلسا في البهو المريح وراحا يتكلمان عن مواضيع شتى لكنها
تفاديا الخوض في اسباب محبيء سامنتا الى اسكتلندا. وكانت تفضل
عدم التطرق الى الموضوع في الوقت الحاضر رغم شعورها بتملل
بيل لهذا الامر.

صعدا الى الطابق العلوي في ساعة متأخرة وودعها بيل عند باب
غرفتها وعانقها بلطف قائلاً:
«طابت ليلتك يا سامنتا واحلاماً سعيدة».
«طابت ليلتك يا بيل».
دخلت غرفتها واوصدت الباب واتكات لبعض الوقت عليه فيما

راح قلبها يخفق بسرعة ولم يكن مجهود تسلق السلم هو سبب الخفقان
الوحيد. شعرت سامنتا انه ينبغي الا تتعلق كثيراً ببيل قبل ان تنفصل
نهائياً عن بارني وعضت على شفتها فيما راحت تطأطأ رأسها
حائرة. تهوتت في مرافقتها بيل الى اسكتلندا وهو لن يستطيع
الامتناع عن تفسير علاقتها به على انها تتعدى مجرد صداقة عابرة
وسوف تجد نفسها في وضع معقد من جديد.

وسمعت فجأة قرعاً خافتاً على بابها فقفزت لذهولها ووقفت
مشدوهة لبعض الوقت تحقق بالباب قبل ان تقرر فتحه.
لم يكن بيل هو الطارق بل بارني الذي وقف في الباب يتنسم وكأنه
يعتبر زيارته لغرفتها بعد منتصف الليل كأمر طبيعي جداً. وراح
قلبها يخفق بشدة ولم تكن متأكدة ابدأ ان كان الغضب او الانفعال
وراء توهج خديها.

دفع بارني الباب محاولاً دخول الغرفة لكنها تصدت له قدر
المستطاع فيما برقت عينها بفورة الأحاسيس التي اجتاحتها تلك
اللحظة. وهمست له بقوة خشية ان يسمعها نزل الغرفة المجاورة:
«اذهب عني».

«اردت اعلامك بوجودي هنا».
«كان لا يزال يتنسم فهزت سامنتا رأسها وقالت متوسلة:
«ارحل، واتركني وشأني. وكيف بالله علمت بمكاني؟»
برغم غضبها، شعرت بفضول لمعرفة الاسلوب الذي استعمله
للعثور عليها بهذه السرعة.
«هذا سهل جداً. طلبت من بريغس ان يحضر سيارتي الى برايتون
البارحة ولحقت بكما الى هنا».
«لا يحق لك ملاحقتنا».
«طبعاً يحق لي ذلك حين يهرب برفقة خطيبي».

وصمت لوهلة وكأنه اكتشف أمراً ما ثم تابع:

«وهل أخبرته عني؟».

«لا... لا. طبعاً لم أخبره».

وابتسم بسخرية وقال:

«آه فهمت. أنا غرض من السهل تصريفه اليس كذلك؟».

«لم اعد خطيبتك».

ابتسم وراح يحرق بشغرها وكأنه مسحور به وقال:

«لم تعودني خطيبتك؟».

مد ذراعيه وضمها الى صدره يعانقها بقوة لكنها قاومته بشدة وافلتت منه وقالت:

«ارجوك ان ترحل عني».

«الى غرفتي؟ طبعاً...».

«كلا اريدك ان ترحل بعيداً عني. كف عن ملاحقتي يا بارني لا حق لك ان تلاحقني في وقت احتاج فيه الى بلورة الأمور في ذهني».

«ان كانت بلورة الأمور في ذهنك تقتضي الانفصال عني فاني سألاحقك الى جميع انحاء بريطانيا ان دعا الأمر يا عزيزتي. لن ادع هذا البطل الاسكتلندي يصطادك امام عيني».

«انت مخطيء يا بارني فهو يكتفي بمساعدتي على التفكير».

«آه!!».

«أسكت».

«عفواً».

ابتسم لوهلة ورمق الممر الساكن ثم قال:

«طابت ليلتك يا حبيبتي. الى اللقاء في الغد».

«لا يا بارني لا».

سار في الممشى ثم التفت ولوح لها بيده فشعرت بياس شديد

يبتاعها.

حين نزلت سامنتا في الصباح التالي لتناول الافطار كان بيل قد

سبقها الى القاعة وراح ينظر اليها بفضول وما ان جلست حتى سأها:

«هل قضيت ليلة مريحة؟».

«نعم - شكراً».

صبّ بعض القهوة فيها راح ينظر اليها قائلاً:

«الم تسمعي ضجة في الممشى بعد افتراقنا بقليل؟».

«ضجة؟».

«اصوات. سمعتها وكان مصدرها قرب غرفتك، بدا لي وكأنه

جدل بين شخصين لكن لا استطع الجزم لانها كانا يتهامسان - الم

تسمعي شيئاً؟».

ترددت سامنتا لوهلة وشعرت ان بيل لا يزال رجلاً غريباً عنها

برغم موافقتها على السفر الى اسكتلندا برفقته والتعرف على عائلته.

وما ستكون ردة فعله متى أخبرته عن بارني؟

«اظن - اظن اني سمعت شيئاً».

«هم... هم! ربما كان هذا الرجل وزوجته يتجادلان فهي تسكن

في الغرفة المجاورة لك».

«ربما».

تمت في قرارة ذاتها لو تناسيا الموضوع لكنها شعرت طيلة الافطار

بالذنب حيال بيل. وكانت تراقب بقلق مدخل القاعة منتظرة دخول

بارني الذي وصل لحظة انتهائها من الأكل. واستغل بارني فرصة

استدارة بيل ليلوح لها بيده لكنها تجاهلت حركته.

لكن مجيء بارني حرك من جديد شعورها بالذنب نحو بيل

فتنهدت بعمق وقررت الغوص في صلب الموضوع فقالت:

«بيل».

نظر اليها نظرة متسائلة ثم قال:
«ما بك؟»

«لست متأكدة من صواب فكرة مرافقتي لك وخاصة الى بيتك»
تفحصها مطولاً ثم قال:

«انا متأكد الآن من ان هناك ما يقلقك».

«لا ليس فعلاً انما اظن، آه اظن اني لم اكن صريحة كلياً معك يا بيل».

«صريحة؟ وما قصدك...؟»
«انا...»

وراحت تحديق بفنجان القهوة الفارغ امامها تحاول جاهدة ايجاد الكلمات المناسبة للتعبير ومد بيل يده وامسك اصابعها المرتجفة وقال:

«انت مشغولة البال يا سامنتا. ادركت هذا الأمر منذ غادونا برايتون البارحة».

«اني آسفة... لم تكن رفيقي مسلية اليس كذلك؟»
«لا بالعكس - لكن هناك شيء، يقلقك واود المساعدة ان امكن ذلك».

«انت لطيف جداً يا بيل».

«لقد سبق ان قلت لي هذا».

رمرت بارني قبل ان تتكلم ورأته منهمكاً في تناول افطاره غير مكترث بها.

«لم اكن صادقة تماماً معك يا بيل».

«فهمت».

«افهم تماماً ان غضبت مني».

وحقق بها يتفحصها لوهلة ثم قال:

«لا اظنك تفريين من زوج مزعج اليس كذلك؟»
«لا. معاذ الله».

وابتسم قائلاً:

«آه».

«انه خطيبي بالحقيقة».

رمقها متعجباً وكأنه يحاول معرفة اذا كانت جادة ام لا ثم قال:
«خطيبك؟»

«نعم. او بالاحرى كان خطيبي. وانا فسخت الخطبة».

«عظيم - وما سبب القلق اذن. فأنت حرة طليقة الآن واين المشكلة؟»

«لست متأكدة من كوني اصبحت حرة...».

«لكنك قلت لي لتوك انك فسخت الخطبة».

«صحيح».

صممت لوهلة تتساءل عن الطريقة التي تمكثها من التفسير له ان بارني رفض فسخ الخطبة بينهما. وادركت ان الأمور سوف تسوء ان قرر بارني اللحاق بها الى منزل بيل وهذا ممكن. فأصرت على كلامها قائلة:

«فسخت انا الخطبة لكن بارني لا يقبل بهذا الأمر».

«بارني؟ آه انه الرجل الذي ارسل لك الأزهار».

قال بيل وقد تذكر الاسم الذي قرأه على البطاقة في فندق برايتون.

«نعم، انه الرجل ذاته».

«ولكن هل أفهم منك انه كان موجوداً هناك في الفندق في برايتون؟»

«لا، ليس في الفندق نفسه، اقتفى اثري الى بلدة صغيرة في

مقاطعة «ساري» وحين غادرتها لحق بي الى برايتون. تركت الفندق الأول لأنه نزل فيه ولكن...».

ورفعت كتفيها مستسلمة.

«ولكن عرف بمكانك وارسل لك الأزهار».

وأومات إيجاباً ثم قالت:

«لا اعرف لماذا فهي المرة الأولى التي يتصرف فيها بهذا الشكل».

«آه. فهمت».

«آه يا بيل. اني آسفة. ليس من العدل ان آتي معك من دون ان اقول لك السبب لكنني آمل انه متى ادرك اني عازمة على الذهاب الى اسكتلندا فربما توقف عن ملاحقتي».

«هل أنهم منك انه لا يزال يتبعك. يا للهول! هل تعنين انه هنا الآن؟».

«وأومات سامتا وقررت الا تخفي عنه شيئاً من الحقيقة فقالت:

«وصل ليلة امس- لقد تبعنا او بالأحرى تبعتني من برايتون».

وهز رأسه غير مصدق وقال:

«يا الهي. ينبغي مكافأته على مثابرته».

«انه رجل عنيد جداً لا يستسلم ابداً».

اغاضتها نبرة الاعجاب التي لمستها عند بيل ونظر اليها بيل وابتسم قائلاً:

«لا استطيع لومه. فلو كنت امرأتى لما تخليت عنك بسهولة».

«لكنني لست امرأته. لقد سبق ان قلت لك اني لن اعود اليه حتى ولو لحق بي الى نهاية الكون».

وشعرت في هذه اللحظة انها واثقة كل الثقة بكلامها. وسطعت عينها وفاضتا غضباً محقاً. ثم تابعت:

«لن اوافق على هذا الزواج مهما حاولوا ارغامي على ذلك».

ونظر اليها لوهلة مندهشاً للحماس الذي ابدته ثم قال:

«وهل من احد يفكر في ارغامك على الزواج؟».

«آه انك لا تعرف بارني».

«ما سمعت عنه حتى الآن يجعلني غير متشوق ابداً للتعرف اليه

لكن هل قلت انه كان هنا ليلة امس؟».

«نعم، لقد رأيته بعد قليل من افتراقنا».

وضاقت فتحة عينيه حين تكلم قائلاً:

«آه. فهمت الآن فتلك الاصوات التي سمعتها لم تأت من جوار غرفتك بل من داخلها... صحيح ام لا؟».

«ليس فعلاً- اني بارني وطرق بابي لكن لم اسمح له بدخول غرفتي».

«آمل ان تكوني قد فعلت ذلك. يا لجسارته على ملاحقته لك كل هذا الطريق».

القي بنظرة سريعة ومتكبرة على المطعم المزدهم حوله وسألها:

«وهل هو في المطعم ايضاً؟».

«نعم وللأسف».

وانجهدت بنظرها الى حيث جلس بارني وحاول بيل متابعتها ثم سألها:

«وهل هو ذاك الرجل الذي يشبه عاشقاً اسبانياً».

كادت سامتا ان تنفجر ضحكاً للتشبيه الذي استعمله لكنها

سيطرت على نفسها وقالت:

«اظن ذلك - فهو داكن الملامح».

«وهو يغازل بالنظرات تلك الفتاة الجالسة الى الطاولة المجاورة

له».

«هذا هو حتماً بارني».

نظر اليها معجباً وقال:

«لكن ان كان متلهفاً الى استعادتك فلماذا يتصرف على هذا

النحو؟».

«هذا خارج عن ارادته. ولكن اللوم لا يقع عليه بكامله فالنساء

يلاحظنه دائماً وهو يظهر لهن انه لاحظهن ايضاً».

بدا بيل مستاء جداً وتساءلت سامنتا اذا كانت قد اعطته انطباعاً

خاطئاً عن بارني اذ سمعته يقول:

«ارغب في ضربه ضرباً مبرماً».

«اظن انه تعود على وجودي بالقرب منه وعلى اعتباري جزءاً من

الشركة».

«من الشركة؟».

«نعم، فالوصي عليّ، عمي نيكولاس، ووالد بارني اسسا شركة

تجارية للتصدير منذ سنوات وهما شريكان وصديقان. وقد اصبح

بارني الآن شريكاً ثالثاً لها والجميع يؤلفون عائلة كبيرة سعيدة وهنا

تكمن المشكلة فالكمل كان يعتبر انني سوف اتزوج من بارني حالما ابلغ

السن المؤهلة لذلك».

«ولقد بلغت السن الآن».

«لسوء الحظ. بلغت الواحدة والعشرين ولكنني لست حرة رغم

ذلك».

«لا، مستحيل. في عصرنا وايماننا هذه الم يترك لك المجال للتعبير

عن ارادتك الحقيقة؟».

«اظن اني كنت استطعت ذلك لو فكرت فيه لول مرة لكنني لم افعل.

فكان الجميع يقولون ان سامنتا وبارني سيتزوجان يوماً واظن اني كنت

منجرفة مع التيار».

«الى ان ترددت وساورك الشك».

«نعم، منذ يومين واثناء تجربتي لفستان الزفاف نظرت الى نفسي

في المرأة وصحت: لا، انهم يعيشون بي كقطعة من العجين، ولا اقوم

بأي جهد للتفكير بذاتي وسوف اعيش حياة رتيبة مملّة فانتابني الذعر

ولذت بالفرار».

«لكن هذا الرجل لحق بك».

«نعم - وقبل ان يتسنى لي الابتعاد كثيراً فالمشكلة هي انه يعرفني

معرفة تامة وهو يستيق افكاري منذ ثماني عشرة سنة وتعود على

تصرفاتي».

مد بيل بيده من جديد يحاول ان يؤاسيها وعصر اصابعها

وقال:

«لا يحق لاحد ان يتعود عليك. فاذا كنت غير راغبة في الزواج منه

فاني سأضمن لك ذلك».

«انت...».

توقفت عن متابعة الكلام حين رآته يعبس في وجهها وهددها

قائلاً:

«ان قلت لي مرة اخرى اني لطيف اضطررت الى ان اثبت لك

العكس».

«اني آسفة».

ضحك وهز رأسه ببطء ثم قال:

«بدأت اشعر وكأنني عترة بن شداد. احاول انقاذك من قدر اسوأ

من الموت».

ونظرت سامنتا مجدداً الى بارني الذي راح يتأملها بابتسامة طفيفة
وسرية على ثغره وكأنه يقول: «كنت اجهل ان الأمر سيسوء الى هذا
الحد».

٤- سارق الزوجات

راح بيل ينظر الى سامنتا كما اعتاد بارني ان يفعل لكن عينتا بيل
كانتا اكثر تسامحاً وتراعى لسامنتا انها لمست فيهما محاولة جادة لتفهم
دوافعها في هذه اللحظة اذ كانت تقول له:
«لا لأنني ارفض مرافقتك الى بيتك لكن... اظن انه لا يحق لي
ان اشركك في مشاكل الخاصة».
كان بيل يقود السيارة على طريق ريفي مقفر مما اتاح له فرصة
الالتفات نحو سامنتا بين الحين والآخر اثناء الكلام وقال يذكرها:
«لا تنسي اني مزجوج فيها كوني اساعدك على الهرب».
«وانا شاكرة لك يا بيل».
كانت صورة بارني لاحقاً بهما في سيارته السريعة تمنعها من التمتع
بالطبيعة الخلابة من حولها وسمعت بيل يقول لها:
«لا ضرورة لشكري فانا مسرور جداً بدور الفارس الذي اقوم به
ما دام بارني لم يلحق بنا».
ورمق المرأة ثم اضاف:
«خيل لي رؤية سيارة وراءنا على مسافة قريبة».
«انه حتماً بارني».
قطب حاجبيه ثم قال:
«لقد سوي الأمر اذن. ان كان بارني اقترب منك الى هذا الحد

فاني لن اتركك بمفردك في النزول. عليك مرافقتي الى البيت». «لا يا بيل ارجوك لا. افضل الا آتي الى بيتك فانت لا تعرف بارني. لا اريد ان ياتي ويقوم بعمل غير لائق في بيتك وفي حضور عائلتك».

«اتظنين انه قد يقدم على عمل كهذا؟».

وهزت برأسها ثم اعترفت قائلة:

«لست ادري لكن افضل عدم المجازفة يا بيل ارجوك».

«انا افضل ان تأتي الى البيت حيث يمكنني مراقبتك عن كسب».

«كلا يا بيل. انك تغمرني بلطفك لكنني لن ازج عائلتك في مشاكل. انا المسؤولة عن رعونة تصرفات بارني الحالية واعرف كيف اواجهها بمفردتي».

تمنت لو كان ما قالته صحيحاً لكنها شعرت انه لا حق لها في اشراك بيل او عائلته بخلافاتها مع بارني فابتسمت لبيل ووضعت يدها على ذراعه ثم قالت بصوت ناعم:

«سأكون على ما يرام في الفندق المحلي وبإمكانني اللجوء اليك عند الضرورة».

«ارجو ان تلجأي اليّ فقد غدوت شخصاً مهماً جداً في حياتي يا سامنتا».

ابتسمت مرتبكة بعض الشيء فهي تدرك ان بيل يتوقع شيئاً واحداً منها عما يعني احتمال انتقالها من ورطة الى ورطة وهذا ما لم تكن مستعدة له اذ يكفيها ما تعانيه مع بارني.

«انت فارس نبيل جداً يا بيل وأقدر لك هذا كثيراً».

رمقها ثم ابتسم بمكر وقال:

«ارجو الا تحسبي ان هوايتي القيام بهذا الدور. لا أدري ما انتابني لكنني ادركت في اللحظة التي رأيتك فيها في فندق برايتون انك امرأة

فريدة من نوعك».

«بيل».

وقاطعها بسرعة قائلاً:

«حسناً. حسناً. يكفيك ما تعانيين من مطاردة بارني لك فلن استعجلك اكثر من ذلك لكنني لا اريدك ان تفكري اني اساعدك الآن لدوافع انسانية فقط».

تهتدت سامنتا وقالت:

«سأذكر كلامك».

كان نزل قرية بارشيل الصغير جميلاً جداً اعجبت به سامنتا كما اعجبت بالقرية بكاملها. وقفت الى نافذة غرفتها تتأمل البيوت المتناثرة على الجبال الشاهقة، ومن بينها منزل كبير من الحجر الروماني وسط اشجار خضراء ظليّة، وهو المنزل الذي اشار اليه بيل اثناء دخولها القرية قائلاً:

«لن اكون بعيداً عنك ان احتجت اليّ. وسوف اعطيك رقم هاتفني».

تساءلت سامنتا عن عدد النزلاء الذين يتسع لهم النزل وتمنت لو امتلأت الغرف قبل وصول بارني.

سمعت دوي محرك سيارة تتوقف امام الفندق فألقت نظرة عليها واكدت لها تشريف الاستاذ بارني ولم تمر دقائق قليلة حتى سمعت وقع خطى ثقيلة تصعد الدرج الخشبي وتمر امام غرفتها فتهدت.

اغتسلت وبذلت ملابسها مستسلمة لقدرها وادركت ان بارني مصمم على اللحاق بها اينما ذهبت وهي عاجزة تماماً عن منعه وما كادت تنتهي من تصفيف شعرها حتى سمعت قرعاً طفيفاً على الباب فوقفت لا تحرك ساكناً بل راحت تحقّق في صورتها في المرآة ثم استدارت ونظرت الى الباب حائرة:

«سامنتا».

ارتاحت لكونه يتكلم بصوت خافت لكنه عاود قرع الباب بقوة أكبر من قبل فسارعت الى فتحه قبل ان يتبته الآخرون.
رأته واقفاً امامها بقامته الطويلة وبشرته الداكنة وقد انارت ابتسامته ظلمة الممر وبادرها بقوله:

«مرحباً يا حبيبتي».

شعرت برغبة عارمة في الضحك لكنها تماسكت واتشع وجهها بتعبير من القساوة وقالت:

«ارحل من هنا، ارحل من هنا يا بارني والا ناديت...».

عرضت ابتسامته ووضع قدمه على العتبة ثم قال ضاحكاً:

«بيل سميث؟».

«سأنادي صاحب النزل واقول له انك دخلت غرفتي عنوة واعتديت علي».

هز رأسه معاتباً وضحك ثم قال:

«هذه لعبة قديمة يا حبيبتي وهو لن يصدقك ابداً».

«طبعاً سيصدقني».

لكنه استمر يهز برأسه وقال:

«انه على علم بكل شيء فلقد اخبرته».

«وبم اخبرته؟».

تراجعت مدهوشة حتى انها لم تفكر في الاحتجاج حين دخل غرفتها واغلق الباب:

«ماذا قلت له يا بارني؟».

ابتسم مجدداً وراح ينظر اليها بتهكم مراقباً ردة فعلها:

«قلت له ان زوجتي فرّت مع رجل وأنا احاول اقناعها بالعودة».

واتسعت عينا سامنتا غير مصدقتين:

«زوجتك؟ زوجتك؟».

أوماً ايجاباً من دون ان يتوقف عن الابتسامة.

«انت... يا لك من كاذب».

«كلامي قريب الى الحقيقة. فبعد ايام معدودة ستصبحين زوجتي!».

«لست زوجتك ولن اصبح ابداً».

«انا متأكد من العكس يا حبيبتي. بعد... آه في أي يوم نحن؟».

«لا يهمني في أي يوم نحن - لن اتزوجك يا بارني لن اتزوجك».

وقال لها بصوت ناعم وهو يتقدم خطوة نحوها:

«لقد قطعت عهداً بذلك».

وقبضت على يديها حين رأته يتقدم وقد سطعت عيناه وفاضتا

عزماً، زاد من قلقها وتمنت لو كان بيل بجانبها يساعدها.

«لم اقطع أي عهد بل... بل...».

«ان قلت انك ارغمت على ذلك فسوف اتصرف معك بعنف كما

نصحني صديقنا صاحب الفندق».

«ماذا... ماذا قال؟».

«نصحني بالتصرف بقساوة. يبدو ان ضرب الزوجات الفأرات

من ضمن التقاليد المحلية ومن الأفضل لك ان تتذكري هذا الشيء

حين تقررين استبدالي ببيل سميث».

«لا اصدق ذلك».

«لا تصدقين ماذا؟ انهم يضربون زوجاتهم؟... آه لا ادري يا

حبيبتي فالاسكتلنديون رجال اشداء».

«لا اصدق شيئاً مما تقوله».

«كما اني لا اصدق انك ارغمت على الزواج مني. لقد وافقت بملء

ارادتك واكره ان اترك في الكنيسة بمفردي في اللحظة الاخيرة».

«آه فهمت. لقد جرح كبرياؤك. انت لا تشعر بأي شيء نحوي، لكنك لا تحب ان تتخلى عنك امرأة وهذا هو سبب ملاحظتك لي عبر البلاد، كان يجب علي ان ادرك هذا الشيء من قبل».

وسألها بصوت هادئ:

«وهل انتهيت من التجول؟».

«انتهيت. بإمكانك الآن العودة بمفردك الى المنزل».

«واتركك مع البطل الاسكتلندي هذا. كلا يا حبيبي. لن ارحل الا وانت معي».

«عليك الانتظار طويلا اذن. وتوقف عن مناداتي حبيبي».

«لماذا؟ لا تنسي انه يفترض بي ان اغاذلك، وان احاصر قلعة قلبك القاسي وتعلمين اني لا استسلم بسهولة».

«آه. بارني ارجوك. لا. لا اريدك قربي».

بدا وجهه الداكن جدياً كل الجد ودنا منها الى مسافة قريبة جداً مما جعلها تضطرب. كان تسارع ضربات قلبها شيئاً جديداً لم تعرفه من قبل وقد اربكها حدوثه مع بارني. فهي لم تشعر مع بارني من قبل بأي من العوارض التي تمر بها الفتاة العاشقة عادة.

هزت برأسها فمد يديه نحوها ولم تتمكن من تفاديها وشعرت بذراعيه تلتفان حولها وتضمانيها الى صدره:

«لا يا بارني لا...».

لم يأبه لصيحة التوسل هذه بل عانقها لبعض الوقت ثم ارحل قبضته، ففتحت عينيها لترى وجهه وقد فاض منه تعبير لا تعرفه. كانت قد رآته جدياً مرات عديدة وغاضباً أحياناً لكن التعبير هذا كان جديداً عليها وجعلها ترتعش.

«لن يأخذك مني، تباً لي ان سمحت له ان يأخذك مني».

«بارني!».

«حضري امتعتك. انني عائد بك الى حيث تنتمين».

«كلا!».

ومضت عيناه سخطاً كما لم ترهما من قبل وارتعشت خوفاً حين نظرت اليه. ثم تنهد بعمق وهز رأسه ببطء وقال:

«حسناً... لك ما شئت!».

«تعني انك ستعود الى المنزل وتتوقف عن ملاحقتي».

فوجئت بنفسها تشعر بمرارة لاستسلامه في هذه اللحظة وبهذه السهولة.

لكنه هز برأسه وافتّر ثغره بابتسامة عريضة حين قال:

«لا يا حبيبي. لن اعود الى المنزل. اذا كنت مصرة على متابعة الحرب فسألحق بك. ان كنت تودين تصعيب الأمور فلك ما شئت».

«لن يدعك بيل...».

لكنه استمر في هز رأسه ويدا واثقاً من نفسه الى حد كبير وقال:

«بيل سميث لديه شركة يديرها. وهو عاجز عن ملازمتك طيلة الوقت».

«هذا استبداد!».

شعرت بالدموع تكاد تنهمر من عينيها وانزعجت لاحتمال اكتشافه حالتها النفسية فهو سيعتبر الدموع علامة ضعف وهي لا تريد الظهور بمظهر الضعف امامه بعد ان قطعت شوطاً طويلاً على طريق التحرر.

«لا ابدأ».

«وانت كيف تترك عملك في الشركة؟ فباستطاعة بيل ان يتركه ايضاً».

وحقق بها لثوان عدة ثم قال بصوت هادئ:

«لأسباب عدة اولها اني حظيت بموافقة شريكى الكاملة، ثانيها اني اشك في ان يهمل بيل سميث عمله من اجل قضية خاسرة».

وصاحت به:

«لست قضية خاسرة. ولن اقبل بالتصرف وكأني ملكك ولن اعود معك ابداً. اني باقية هنا».

«الى الأبد؟».

بدا كأنه عاد الى مزاجه الساخر كعادته وباتت تدرك انها لن تستطيع كبت دموعها مدة طويلة، لكنها قالت:

«ما دمت راغبة في ذلك. حتى تعود انت الى البيت».

رأته وقد شرع في الضحك بصوت ناعم وهو يهز رأسه ثم قال:

«لن اعود الا برفقتك، اذهب متى تذهبين وليس قبل».

حين اتى بيل في الصباح التالي لزيارتها بادرته قائلة بصوت يائس:

«انه مصمم على ملاحتي اينما ذهبت».

شعرت ببعض الاستياء لعدم قدومه ليلة البارحة لكنها كانت تدرك انه اضطر الى مجالسة عائلته بعد غياب طويل، وشرح أسباب عدم مرافقتها له الى البيت كما كان مقرراً.

وكررت باصرار:

«انه مصمم يا بيل. فهو عنيد اني اعرفه جيداً».

«اصلق ذلك».

قال بصوت هادئ، لكنها لم تنتبه لمعنى كلامه الميَّت لكثرة قلقها ثم اضاف:

«هل تعتقدين فعلاً انه سيبقى هنا؟».

وأومأت سامنتا ايجاباً:

«نعم سيبقى فهو ينفذ دائماً ما يعلن عنه. أه بيل ما عساني ان افعل؟».

لاحظت سامنتا في هذه المرة الاضطراب على وجه بيل وتساءلت عن اسباب التحول الذي طرأ عليه ثم تكلم بعد صمت طويل:

«سامنتا...».

كان واضحاً انه يجد صعوبة في التعبير عما يخالجه وارتعشت خوفاً حين التمست ما يدور في ذهنه:

«كنت اتكلم لتوي مع السيد ماك في وفوجئت بفتور استقباله لي...».

اخفض عينيه وراح يحرق في يديه وايقنت سامنتا ما سيقوله.

«سامنتا... بارني هذا يدعي انه زوجك!».

ولم تتمكن من اخفاء المرارة التي شعرت بها حين قالت:

«وانت صدقته؟».

ادركت ان بيل مستاء حتماً من اتهام الناس بانه سارق زوجات الآخرين لكنه كان بامكانه ان يصدقها هي عوضاً عنهم وسمعته يحتج قائلاً:

«لم اقل اني صدقته...».

لكن كان واضحاً لسامنتا انه صدقه.

«لكن تصديق السيد ماك في للخبر يضعني في موقف حرج يا سامنتا».

«اظن انك على حق».

«وهو لن يتأخر عن نشر الخبر ولن يطول الأمر حتى يعلم اهل القرية برمتها اني جئت مع زوجة فارة».

«لكني لست زوجة فارة وانت تعلم ذلك يا بيل».

«انا اعرف ذلك ولكن من غيري يصدق؟ اني اعرف اولئك القوم منذ زمن بعيد وانا متأكد انهم سيتخذون موقفاً صارماً حيال الامر هذا».

«ماذا تعني بالضبط يا بيل؟ هل تحاول افهامي اني بت مصدر ازعاج لك».

«لا الومك يا سامنتا لكن ملاحظته لك من مكان الى آخر تشكل دليلاً اضافياً على صحة ادعاءاته الا توافقين على ذلك؟».

«لا اوافق على شيء».

شعرت بدموع الغضب والقهر تحرق عينيها فجلست مكموشة اليدين على وشك الاستسلام لابتزاز بارني والعودة الى المنزل برفقته، لكنها سمعته يقول لها:

«هل انت باقية هنا؟».

«لست ادري».

هزت برأسها ببطء ثم رفعت عينيها لتفحصه بصمت لبرهة فيما اخفض عينيها ثم ضحكت وقالت:

«اظن ان لا جدوى من بقائي بعد ما حصل».

نهضت من كرسيها ونظرت اليه مرة اخيرة وقالت:

«اراهن انك مسرور الآن لاني لم ارافقك الى بيتك. اليس كذلك؟».

«سامنتا...».

«آه. لا تشغل بالك. فهناك حتماً اماكن اخرى تستطيع الذهاب اليها. وهناك حتماً فرسان آخرون متى احتجت اليهم، شكراً لمساعدتي يا بيل».

نهض بسرعة عن كرسيه وراة وجهه يلتوي تأسفاً فيما حاول امساك يدها:

«ارجوك يا سامنتا. لا ترحلي وفي ذهنك هذه الصورة السيئة عني».

ونظرت اليه فرأت امامها رجلاً لطيفاً وعادياً- لربما هذا هو السبب

الذي حال دون تمكنه من مجابهة استياء الناس الذين عرفهم طيلة حياته، وذلك بغض النظر عما يدعي، انه يَكُنْ لها من حب ومودة. فمجاوبتهم تتطلب حقاً رجلاً كبارني وهو رجل ابعد ما يكون عن اللطافة والاعتيادية.

كانت القاعة خالية من الناس حين نزلت في الصباح التالي لتناول الافطار ورماتها صاحب الفندق بنظرة عدائية حين بادرت قائلة:

«هلا اعطيني فاتورتني؟».

ولم تفتحها النظرة التي القاها الى الاعلى وكأنه فكّر ببارني وسألها:

«انت راحلة اذن؟».

«نعم شرط ان استطيع الحصول على سيارة او اي وسيلة اخرى تنقلني الى اقرب محطة. هل هذا ممكن؟».

«هذا ممكن ان وجدت ويلي براون وان لم يخالفك الحظ فعليك السير الى المحطة».

«وهل هي بعيدة؟».

كانت مصممة على الرحيل رغم محاولاته المفضوحة لثنيها عن قرارها.

«حوال الخمسة كيلومترات».

«خمسة كيلومترات».

راحت تحديق به غير مصدقة وخيل اليها رؤية ابتسامة تعلو ثغره حين عاد الى اعماله، ثم سألها بعد لحظة:

«الا تنوين تناول الافطار قبل رحيلك؟».

«لا استطيع قطع مسافة خمسة كيلومترات على الاقدام حاملة حقيبتي».

«انها فعلاً خطوة شاقة يا سيدتي».

لم تأبه للمعاني البيتية في ملاحظته الأخيرة بل جلست حزينة

وقالت:

«اظن ان لا خيار لي».

التفت نحوها ظافراً وكأنه خطط بدقة حوارهما وابتسم قائلاً:
«بإمكانك ان تطليبي من زوجك ان يقودك الى المحطة».

«لكنه ليس زوجي - ولا يحق لك ان تدعي انه زوجي».

التفت نحوها، وراح يمدق بها بعينيه النافرتين وسط وجهه المحتقن وقال:

«بدا لي انه رجل شريف وهو يدعي انك زوجته واميل الى تصديقه».

«اما انا فلست زوجته. واني راحلة الآن ان تناولت افطاري اولى تناولته وارفض البقاء ليلة اخرى في المكان ذاته معه - ارجوك ان تحضر لي فاتورتى».

هز كتفيه العريضتين ثم دخل الى الغرف الداخلية وعاد بعد دقائق وبيده الفاتورة فسددت قيمتها بسرعة وتسلمت وصلاً منه من غير ان يتكلم اي منها.

«سأحضر لك حقيبتك».

وصعد السلم قبل ان يتيح لها الاجابة.

«شكراً لك».

نظرت بقلق الى حقيبتها الثقيلة وادركت ان حمل حقيبتها والسير بها على الطرق المقفرة والمتعرجة عمل شاق جداً اذا ما قورن برفاهية سيارة بيل ورفقته.

«هل لديك فكرة عن اسلوب ذهابك الى المحطة؟».

تجاهلت سؤاله رغم انها لاحظت الابتسامة الظافرة التي رافقته وخرجت من الفندق.

كانت الطريق سيئة التعبيد لكنها استطاعت ان تسير على حافتيها

المكسوة بالعشب.

اشتدت حرارة الشمس بسرعة فاقت توقعاتها وشعرت ان وزن الحقيبة يزداد مع كل خطوة تخطوها. كانت قد توقفت في المقهى وخابرت العم نيكولاس الذي لم يشجعها ابداً فاكتفت باخباره انها غادرت الفندق واتجهت نحو مكان آخر تجهله.

وضعت حقيبتها على الارض ووقفت تمسّد ظهرها من التعب وخلعت حذاءها لراحة قدميها. خيل لها للحظة انها تسمع صوت محرك سيارة فالتفت لكنها لم تر شيئاً.

وقفت عند حافة الطريق وسط الحقول الشاسعة وراحت الشمس تنعكس على شعرها الذهبي الاحمر الذي شغّ بالف لون وانهمرت فجأة دموع الارهاق والقهر على خديها وتأوهت:
«آه - لا - هذا بارني».

تعرفت بسهولة الى سيارة بارني الحمراء تسرع نحوها فاغتمضت عينيهما وكأنها تحاول طرد حلم مزعج ولما فتحتهما كانت السيارة قد اقتربت منها اكثر فجلست على حقيبتها مستسلمة لقدرها.

توقفت السيارة بعد قليل وادركت حين رأت ابتسامته الساخرة انه كان يتوقع ان يجدها في هذا الوضع المرهق فتح باب السيارة وترجل منها ثم سار نحوها ووقف امامها يتأملها لبعض الوقت واضعاً يديه على خاصرته ثم سألها:
«هل اكتفيت؟».

انفجرت سامنتا في البكاء. اسرع نحوها وضمها بين ذراعيه فدفنت وجهها المغبر ودموعها المنهمرة في قميصه الابيض النظيف. وسمعتة يهمس في اذنها ويصوت متسامح وان لم يخل من بعض التمليل:

«لماذا تتصرفين بهذا العناء؟ انت تعلمين انه لم يكن ضرورياً ان

تفعلي هذا».

«أردت الابتعاد عنك».

رفعت وجهها ثم فركت عينيها وتمنت لو كان لديها منديل تمسح به وجهها.

«تفضلي».

قدم لها منديلاً أبيض فقبلته وتمتعت عبارة شكر، فيما راحت تمسح وجهها من دون أن تدرك أنها لا تزال واقفة بين ذراعيه.

«هل تشعرين بتحسناً؟».

حين رآته يتسهم لها انتبهت إلى أنه ما يزال يضمها فافلتت منه وقالت:

«نعم، شكراً لك».

«وهل أنت مستعدة للعودة إلى رشدك والركوب معي في السيارة».

«كلا».

وضع يديه على خاصرتيه وراح ينظر إليها من جديد وكأنها طفل عنيد يرفض التعلم ثم قال:

«كفاك عناداً- لا يمكنك متابعة السير بهذه الحقيبة اللعينة وانت تجهلين وجهة سفرك في أي حال».

«أقرر ذلك متى بلغت المحطة».

«إذا بلغت المحطة؟ لن تبلغها أبداً على هذا المتوال».

«سأندبر أمري».

أقلت نظرة على الطريق المتعرج أمامها وغاص قلبها، وادركت أنها لربما فشلت في الوصول إلى المحطة بمفردها ومن الأفضل قبول عرضه في الوقت الحاضر وقال ملحاً:

«لن تنجحى- وانت تعرفين ذلك!».

نظرت إليه ورأت أنه غير مستعد لقبول أية معارضة منها وشرعت تقول:

«بإستطاعتي...».

لكنه انحنى فجأة وحملها بين ذراعيه ونجح في الوقت ذاته في خلع حذائها ورمائها على مقعد السيارة قائلاً:

«لن أقف النهار بكامله أجادل معك بل سستمعين كلمتي ولو لمرة واحدة».

ثم ذهب وأحضر حقيبتها وشعرت بارتياح عظيم لجلوسها أخيراً على مقعد مريح وامتنعت عن الاحتجاج في الوقت الحاضر.

وضع الحقيبة في مؤخرة السيارة ثم جلس وراء المقود وأدار المحرك ثم التفت نحوها وقال:

«كل شيء على ما يرام؟».

أومأت إيجاباً.

قطعاً مسافة قصيرة بصمت إلى أن بانَتْ لها مباني قرية صغيرة وراحت سامتاً تبحث عن محطة القطارات. وتجاوزاً فجأة مبنى

حجرياً صغيراً فالتفتت إليه وصاحت:

«بارني».

لم يكلف نفسه عناء النظر إليها بل ابتسم وقال:

«أنا لقرية جميلة اليس كذلك؟».

«مررنا لتونا أمام المحطة يا بارني».

«أعرف ذلك- لكن لا حاجة للمحطة بعد الآن فانا معك».

«لا أريدك معي».

نظر إليها وقطب حاجبيه معاتباً ثم قال:

«لا تقولي هذا يا عزيزتي. فاني أوفر عليك ثمن العديد من تذاكر

السفر».

«لا اريد العودة الى المنزل يا بارني».

«سيئاًم العم نيكولاس لسماعه ما قلت».

«ادركت الآن ان العم نيكولاس شرير مثلك فهو يحالفك وهذا ظلم».

«طبعاً هو يحالفني رغم انك تتصورين الأمر وكأننا عصابة».
«يريدني ان اتزوجك للغرض ذاته الذي تريده انت والعم روبرت. فأنتم تؤلفون عصابة ضدي».

«آه. تتكلمين وكأنك طفلة يتيمة مرمية في الشارع، كفاك هذا فانت تعلمين ان ابي ونيكولاس يجبانك بقدر ما احبك انا».

«هنا تكمن المشكلة ويا للأسف. يجدر بك انت على الأقل ان تشعر نحوي بطريقة مختلفة عنها».

«وكيف لي ذلك ما دمت تصدينني كل الوقت».

نظرت اليه لبعض الوقت حائرة وتساءلت اذا كانت تسيء الحكم عليه لكنها هزت رأسها بعزم وقالت:

«انا متأكدة من انك مهتم بي لأنه لربما تخليت عن الزواج منك وانت تكره هذه الفكرة وقد تفعل اي شيء لأتخلى عن قراري. وقد

ترغمني حتى على الذهاب معك الى الفراش...».

رأت يديه تنكمشان بقوة على المقود فتبيّض المفاصل وايقنت انها تمادت في استفزازه فقالت:

«ينبغي عليّ ان...».

كان يحرق بصمت في الطريق امامه وقد انكمشت اسارير وجهه بتوتر وادركت انه يجاهد للتغلب على فورة اعصابه وبدأ بعد قليل

بالعودة تدريجياً الى الهدوء ثم هز رأسه وكأنه يحاول التخلص من فكرة ما.

«انت صعبة الاقناع. لكني سأنجح في اقناعك حتى ولو قضيت

العمر كله...».

صمتت لوهلة ثم ألقت نظرة خاطفة حولها وشعرت بفكرة جديدة بدأت تتكوّن في ذهنها وقالت اخيراً:

«اني بحاجة الى اجازة، الى تغيير الاجواء».

«انت في اجازة الآن».

«نعم».

ثم اضافت بعد ان ألقت نظرة متسائلة عليه:

«تريد اقناعي بصدق شعورك نحوي فهل انت مستعد لمرافقتي حول البلاد؟ الى كل الاماكن التي اقرر زيارتها؟».

سكت لوهلة ثم قال:

«افهم منك انك عازمة على الاستمرار في حياة التشرّد هذه».
ووافقت قائلة:

«اجل. فأنا سعيدة جداً بهذه الرحلة باستثناء حالة او حالتين».
«طبعاً سعيدة للازعاج الذي تسببته لي وللطريقة التي جررت بها

صديقك الفارس بيل من انفه».

«لم اجره من انفه».

«وكيف تمكنت من التخلص منه؟».

ترددت عن اخباره بحقيقة ما حصل لادراكها انه سوف يسرّ بها لكنها اعترفت قائلة:

«صدّق هذه القصة السخيفة التي اخبرتها للسيد ماك في. صدق انني زوجتك».

انفجر ضحكاً كما توقعت وقال لها:

«وتخلى عنك وكأنك افعى سامة وقعت بين يديه، آه يا عزيزتي المسكينة لقد خيّب فارسك النبيل املك اليس كذلك؟».

«وانت السبب. لو لم تنشر هذا الخبر الكاذب والشنيع لكانت

الامور سارت على احسن وجه».

«الامور تسير على احسن وجه بالنسبة اليّ. نجحت في تحقيق اهدافي وفي حملك على مرافقتي حتى ولو اضطررت ان اعدك بالتجوال في اقطار البلاد».

ونظرت اليه سامتاً مبتسمة ابتسامة كان ارتاب منها لو رآها ثم قالت:

«من الافضل لك ان تترث قبل التصريح عن رغبتك في مرافقتي حول البلاد فاني اشعر برغبة في بسط جناحي والتحليق بمفردي وقد لا تحسب ذلك».

رمقها لبرهة ثم ابتسم وقال:

«هذا امر مستبعد - مستبعد جداً...».

٥- كوخ الرسام

قررت سامتاً انتهاز فرصة وجود بارني في مقهى الفندق للخروج بمفردها واكتشاف الاماكن المحيطة بالفندق. أحبت قرية «بريميرين» منذ لحظة وصولها اليها، ورضخ بارني لقرارها بالبقاء فيها ولو لليلة واحدة رغم انه كان يفضل الابتعاد عن قرية بارشيل لمسافة اكبر. دخلت خلصة الى المقهى ورأت بارني محاطاً بمجموعة من الرجال يتحادثون بحماس فخرجت من دون ان يلاحظها وتوجهت بعيداً عن القرية.

راحت تسير على درب من الحجارة المغطاة بالاعشاب يصل حدائق الفندق ببحيرة صغيرة، وما لبثت سامتاً ان وجدت نفسها على حافة الماء فشرعت تتأمل البحيرة الممتدة على طول الوادي الاخضر الخلاب.

وتراءى لها بيت صغير من الحجر الرمادي وسط غابة من الاشجار وكأنه حلم لا واقع. توجهت سامتاً نحوه لا شعورياً برغم بعد المسافة - اختفى البيت عند منعطف من الطريق ولم تر نفسها الا وقد دخلت الحرج الصغير المحيط به والتفتت تتعجب للمسافة الشاسعة التي قطعتها واذا بها تفاجأ بصوت يرحب بها:

«مرحباً بك - هل تهت؟».

استدارت بسرعة وابتسمت لا شعورياً لمخاطبها:

«كلا. كنت أقيم المسافة التي قطعناها»
«من الفندق؟»

ثم اضاف بعد ان اومأت ايجاباً:
«انها فعلاً لمسافة بعيدة».

كان مطابقاً لصورة الفنان التقليدية. شعر اشقر طويل، يتدلى على الكتفين ولحية شعناء ويقع دهان تلمخ يديه وثيابه. ولم تكن سامنتا قد رأت عينين بزرقة عينيه اللتين كانتا تتفحصانها بجرأة وتقدير صريح. وتجاوزاً مع ما في اعماق ذاتها سارعت الى كبجه وسألته:

«هل تسكن في البيت؟»

«نعم».

«انت اميركي؟»

تعجبت لجرأتها في الحديث وهو شيء لم تعهده مع الغرباء.
«تقريباً انا كندي بالفعل. وانت ايضاً لست من هنا فاني اعرف
فتيات القرية جميعهن».

ادركت سامنتا قصده من ملاحظته الأخيرة لكنها لم تزعجها ربما
لكونه رجلاً جذاباً برغم مظهره وتكهنت انه لا يلاقي اية صعوبة في
الحصول على المرأة التي يريد.

كانت متأكدة انه لحق بافكارها اذ رآته يبتسم فهزت برأسها
وراحت نبضات قلبها تتسارع حين صافحت يده الملوثة بالدهان التي
مدتها نحوها قائلاً:

«بيتر روبرتس».

«سامنتا داووليش».

عصر اناملها بين يديه وابقاها مدة اطول مما تطلبه المصافحة
العادية ثم قال لها:

«والآن بعد ان تعارفنا ارجو ان تعاودي زيارتك».

«لا ادري مدة بقائنا هنا».

ادركت انها مرتبكة جداً بحضوره وكأنها تلميذة مدرسة امام رجل
ناضج يربكها الى اقصى حد.

«آه فهمت، انت برفقة شخص».

«هناك بارني ايضاً».

نظرت اليه وادركت انه يجهل ولا يبالي ابداً من قد يكون بارني
فبيتر روبرتس مهتم بها الآن من دون سواها.

«آه... لست من اسكتلندا- اخبريني المزيد عن نفسك».

لم تستطع كبج الابتسامة التي شقت ثغرها لنبرة سؤاله السلطوية
ولم تتردد في الاجابة:

«لا اظنك تعرف القرية التي اسكنها. فهي تدعى ليتل ديستول
في مقاطعة ساري».

«اعرف ساري لكنني لم ازر ليتل ديستول، اظن انه ينبغي علي ان
اقصدها يوماً ما لان الفرص سانحة حتماً فيها».

وشرع يتأملها اثناء التكلم ولم يخف معنى كلامه المبيت عن
سامنتا. لكنها قررت ان تعتمد عدم الفهم وقالت:

«انها قرية جميلة. لكنها هادئة جداً ولا مجال للتسلية فيها. ولا
يستطيع المرء الاستغناء عن السيارة هناك».

«املك سيارة وأجد دائماً اساليب للتسلية أينما وجدت. هل
عشت فيها مدة طويلة؟».

«منذ ان كنت في الثالثة من عمري».

«انت فتاة قروية اذن».

انتبهت الى تهكم ملاحظته فانزعجت منه ورمته بنظرة معاتبة
وقالت:

«لندن على مسافة بضعة كيلومترات فقط من القرية، لست فتاة قروية يا سيد روبرتس».

«أذن لست فتاة قروية، هل تحين اسكتلندا؟».

نظرت سامنتا حولها الى الوادي والتلال المحيطة به والى صفحة مياه البحيرة المتلألئة ثم قالت:

«انها رائعة الجمال».

ثم رمقتها وقالت:

«انت فنان اليس كذلك؟».

«أحاول ان اكون، من لا يستطيع الرسم هنا فهو عاجز عن اي ابداع. انها لمنطقة رائعة».

ثم اضاف بعد ان حدق فيها مطولاً وابتسم:

«ارجو ان تمكثي فيها مدة كافية لكي تتوصلد معرفتي بك».

اخفضت سامنتا عينها بسرعة وقالت:

«آه. اظن اننا سنبقى هنا ليوم او يومين على الاقل. احب هذا المكان».

«حسنًا، لا اريدك ان ترحلي قبل ان يحصل شيء ما بيننا يا سامنتا داووليش».

امسك يدها اليسرى وشعرت للحظة بانامله تفحص اصبعها الوسطى ثم رفع يدها الى شفثيه ولثمها ضاحكاً:

«لا ارى اثراً لروابط تأسرك. وان كانت موجودة فهي ليست ظاهرة على الاقل».

بدأت سامنتا تشعر بموجة من الذعر الغريب والمثير في آن واحد وشبكت يديها بقوة بعد ان افلتتها وادركت ان الامور تسير بسرعة

تفوق قدرتها على الاستيعاب برغم تمتعها بها فقالت فجأة:

«من الأفضل ان اعود ادراجي، قبل ان يفتقدني بارني».

لم يحاول ثنيها عن عزيمتها أو الإلحاح عليها كي تبقى مدة أطول بل وقف ينظر اليها بعينين برّاقتين الى ان استدارت وشرعت في السير. وقبل ان تتوارى عن نظره عند منعطف التفتت من جديد ورائه واقفاً بقامته النحيلة والطويلة وقميصه المفتوح وشعره الأشقر يتبعها بعينه، فلوحث له بيدها لا شعورياً لكنه لم يكلف نفسه عناء الرد على التحية.

كانت مرهقة حين بلغت الفندق وقد احمرّ خداهما لكنها قررت الا تبوح لبارني بلقائهما مع بيتر خاصة انه لم يكن قد لاحظ خروجها. فسوف يؤنبها حتماً لو اخبرته عن مقابلتها لغريب.

كان النهار رائعاً وتمددت سامنتا بكسل واغمضت عينها تقيها نور الشمس واسترسلت في التفكير باليومين المنصرمين. شعرت بالارتياح للهدوء الذي ساد بينها وبين بارني في الفترة الاخيرة حتى انها فكرت ان باستطاعتها قضاء العمر بكامله في هذه القرية الساحرة لولا وجود المشاكل التي عليها مواجهتها كمشاريع العم نيكولاس والعم روبرت المتعلقة بزواجها من بارني وموعد العرس وثوب الزفاف...

كان بارني متمدداً الى جانبها فالتفت نحوها وابتسم من وراء نظارتيه الداكنتين وقال:

«لماذا لا تضعين نظارات شمس».

«لست بحاجة اليها ولن استطيع رؤية كل تلك الألوان الرائعة اذا وضعت نظارات داكنة».

«لن تستطيعي رؤية اي شيء اذا ما اتلفت عينيك».

«آه- كففاك ابداء النصائح يا بارني. تتصرف وكأنك العم نيكولاس».

«ربما لاني اقوم بدوره الآن والله يعلم انك بحاجة دائماً الى

وصي».

«تصرف معي وكأنك مسؤول عني منذ الصغر. وتسمح لنفسك هذا لكونك تكبرني بشماني سنوات».

«يا للباقتك. ما أبعدك عن لباقة السيدات».

«انك تشكو من عقدة تفوق».

«وهل موجودة هذه العقدة؟ سمعت بعقدة النقص».

«لن تتكون لديك عقدة نقص أبداً».

«لو كان لدي عقدة نقص لما تحملتني يوماً واحداً».

«استدارت مجدداً لشدة اضطرابها وكأنها بدأت تشعر بالخجل

نحوه او بغيرة من الاحاسيس التي بدأ بارني يولدها فيها:

«كنت انعم بالشمس ولا افكر بأي شيء وها انت تعكر مزاجي

باختلاقلك جدلاً».

«لم اكن البادى بل انت».

«احدنا البادى».

«راحت تتأمل صفحة المياه الهادئة وتذكرت فجأة البيت الرمادي

الصغير على ضفة البحيرة وسط الاشجار.

«لم تفكر ببيت روبرتس طيلة هذين اليومين واذ به يملأ ذهنها في هذه

اللحظة بالذات الى ان باتت لا تستطيع مقاومة الرغبة في زيارته،

بمفردها طبعاً، فقالت:

«ارغب في السير بمحاذاة الماء».

«ونفضت بسرعة ثم اضافت:

«لا اريدك ان ترافقني أبداً».

«ليس في نيتي أبداً ان ارافقك فلا اظن انك معرضة لأي خطر

اثناء سيرك على ضفاف البحيرة».

«لا أبداً. لا خطر علي».

«لكن شيئاً ما في نبرتها انذرته بالعكس فجلس ووضع ذقنه على
ركبتيه وحلق بها يتفحصها لبعض الوقت وقد خلج نظارته ثم قال:

«اظن انك تحبين شيئاً في جعبتك».

«وكيف لي ذلك وانا لا املك جعبة؟».

«كفاك مناورات. من اين لك هذا النشاط المفاجيء؟».

«اشعر احياناً بالنشاط هكذا».

«لا- اشعر انك تحبين شيئاً- ماذا يحول في ذهنك؟».

«لا شيء... لا شيء أبداً».

«لكنه لم يقتنع بل امسك معصمها بقوة وابتسم ابتسامة ساخرة

وقال بصوت قاس:

«ان هربت مني مرة اخرى حطمت عنقك يا سامنتا، اقسم لك».

«نظرت اليه باحتقار، ثم افللت يدها من قبضته وراحت تمسك

معصمها وقالت بثبات:

«انا ذاهبة في نزهة ولا اظن انه يلزمي نيل موافقتك على كل خطوة

اقوم بها- لم يبلغ هذا الحد بعد».

«سامنتا».

«بدأ متألماً من كلامها وغاضباً وكان بإمكانها ان تعود اليه وتوضح له

انها لم تعن ما قالته لكنها تابعت سيرها متجهة نحو البيت الصغير.

«عضت على شفتها لشعورها بالاثارة لفكرة زيارتها البيت الصغير

ومقابلة صاحبه، احست برغبة جامحة في مواجهة تحدي عيني بيت

روبرتس مهما كانت النتائج. وكانت تشعر برغبة غامضة في الاثبات

لبارني انها لم تصبح مستعدة بعد للاستقرار في دور الزوجة.

«تساءلت اثناء سيرها اذا كان الواقع الوحيد في زيارتها الحالية هو

اثبات شيء ما لبارني، فكان الوضع بينها يتطور بسرعة كبيرة

وشعرت انها كانت دائماً تستبعد بارني عن الاحلام الرومنطيقية التي

تنسجها كل فتاة في غيلتها.

نادراً ما كانا يتجادلان بهذا الحماس من قبل وادركت ان شعوراً جديداً قد تولد في علاقتهما بات يدفعهما الى الحياء منه عوضاً عن التوجه اليه في كل شاردة وواردة كما كانت تفعل من قبل. لقد كتبت عنه خبر لقائهما بيتر روبرتس وزيارتها له الآن وهو رجل تعرفت عليه منذ يومين ولم يخف عنها كونه يفكر بشيء واحد حيالها.

لم تكن تجرؤ على التفكير بردة فعل بارني لهذا الشيء لكنها شعرت برغبة خفية في ان يكتشف امرها، وكأنها تود انتهاز الفرصة لاثبات له ان بيتر روبرتس بالنسبة اليها لا يختلف عن ... النساء اللواتي يعجبن ببارني ويستجيب لهن بسرعة.

وصلت اخيراً الى البيت الصغير وقد اتعبتها المسافة الطويلة وراحت الباب مفتوحاً كما في زيارتها الاولى لكن قلبها راح يخفق بسرعة كبيرة حين رأت رأس بيتر الأشقر وقد انحنى فوق لوحة رسم عند احدى زوايا البيوت الخارجية.

ادركت انه لم يفقد ايّاً من الجاذبية التي لمستها فيه في زيارتها الاولى لكنها ترددت عن توقيفه عن العمل الذي انكب عليه.

بدا لها وكأنه حيوان مفترس مشدود العضلات وقد جلس على كرسي عال لا يعير اهتمامه الا للوحة التي كان ينجزها. وكان يلون اللوحة التي تظهر مشاهد طبيعية صيفية الألوان زاهيتها فيضفي عليها اللوناً فاقعة وقاسية تزيد من جمالها.

لم ينتبه الى وصولها فاستدار بسرعة وحلق بها مدهوشاً حين تكلمت وسرعان ما ابتسم مرحباً بها:

«اهلاً بك. كنت أأمل ان تأتي لزيارتي من جديد».

«كنت مارة صدفة من هنا فقررت ان اعرج عليك واحبيك».

تفحصتها عيناه الزرقاوان بتأن ثم ابتسم وقال:

«انا مسرور لقُدومك».

«ارجو الا تكون منهمكاً في اعمالك».

رفع كتفيه ثم اشار الى اللوحة وقال:

«لن يصيبها اي مكروه، ما رأيك فيها؟».

«انها لوحة رائعة».

عبرت بصدق عن رأيها وادرك بيتر ذلك فابتسم.

«هل انت متأكد من اني لن الهيك عن اعمالك».

ضحك بصوت ناعم وتمرر اصابعه في شعره ثم قال:

«اظن انك قادرة على إلهاء اي رجل - ان حاولت او لم تحاولي».

فاقت جرأة مديحه هذا جرأة ألوان اللوحة وادركت سامنتا لتوها

انه رجل مقدام لا يعرف التردد وبدأت الشكوك تساورها حول

صواب قرارها بالمجيء لزيارته بمفردها.

«لا اريد مقاطعة صفاء حالتك».

«رؤيتك تزيد من صفائها. تفضلي. ما رأيك ببعض القهوة؟»

ترددت حيال قبول دعوته لكنه اصر قائلاً:

«تفضلي. تفضلي سأحضر بعض القهوة».

لم يكن امامها خيار آخر سوى قبول دعوته فدخلت البيت واثار

الى كرسي خال فجلست فيما قصد المطبخ وشرع في تحضير القهوة

وكان بامكانه متابعة التحدث اليها ورؤيتها لقرب المطبخ من الغرفة

حيث جلست فقال لها مبتسماً:

«الى اين قلت انك متوجهة؟».

«ليس لدينا اية وجهة سفر محددة بل نكتفي بالتجول لبعض

الوقت».

«وهل انتما فاران من العدالة؟».

اغضبته وقاحة سؤاله فحدقت به حانقة:

«لا. طبعاً لا».

لم يكثر لردة فعلها بل ابتسم وقال:
«انها مجرد فكرة خطرت لي. اذن فهذه رحلة العمر اليس
كذلك؟»
«تقريباً».

كان من الصعب تفسير الأمور لشخص غريب وشعرت بارتجاف
يديها في حضنها لكنها اضافت:
«شعرت... عفواً، شعرتنا برغبة في مشاهدة بعض انحاء البلاد
ليس اكثر».
«انت وزوجك... لقد لمست اثر الخاتم على اصبعك المتوسط
وهو لا يزول الا بعد زمن طويل».

وتفحصت لا شعورياً اصبعها ولاحظت الاثر البسيط في مكان
الخاتم الذي خلعتة حين قررت مغادرة المنزل.
لم يحاول تبرير تطفله او الاعتذار فاجابته:
«بارني ليس زوجي».
«فهو عشيقك اذن».
«كلا».

كانت اكيدة من انه سيفكر في ان بارني عشيقها ولربما اعطى الف
تفسير لزيارتها له لكنه لم يكن مكتئباً ان كان عندها عشيق او عشرة
عشاق وسمعتة يقول لها:
«انه مجرد تكهن...».

«اني اعرف بارني منذ زمن بعيد وهو بمثابة اخ لي».
«اخ لك!».

ابتسم وعاد الى الاهتمام بالقهوة ثم اتى بها واعتذر عن عدم وجود
الحليب ثم جلس على كرسي فوق كومة من الثياب والاحذية وقال

وهو يشرب من فنجانته.

«اذن انت تسافرين من دون وجهة معينة برفقة اخيك هذا».
«وأومات سامنتا ايجاباً وقد أربكها عدم تصديقه لها ثم قالت:
«نوعاً ما».

«يبدو لي انك من نوع النساء اللواتي احبهن يا سامنتا...
عيشي يومك ولا قلق بشأن الغد، أليس كذلك؟»
وافقت مترددة فضحك من جديد وقال:

«غريب، فتادراً ما احظى بالحكم على امرأة لكنني صنفتك في
عداد النساء التقليديات اللواتي لا يعاشرن الا الرجل الذي يتزوجن
منه».

«قد اكون احداهن».

«وكيف لك ان تكوني احداهن وانت تتجولين في انحاء البلاد
برفقة هذا الرجل الذي تدعين انه اخوك؟»
«نعم فهو كذلك، بارني. آه... انه مختلف».
«حتماً هو مختلف».
«سيد روبرتس!».

«آه لا داعي للصراخ ولا تضطربي لكلامي أرجوك ان تناديني بيتر
فلا احب من يناديني بكنتي. لم اكن افترى على اخيك هذا بل ادعو
له بالتوفيق».

«اظن انك غطىء في فهمك لعلاقتنا».

وضعت فنجان القهوة على الطاولة كي لا تفضحها رجفات يديها
ورأت وميضاً في عينيه بعث فيها القلق وبدأت تتمنى لو كان بارني
معها رغم انها كانت تدرك انها قامت بزيارتها هذه لتلقيه درساً.
وسمعت بيتر يسألها:
«الا تحبين قهوتي؟».

«انها قوية جداً - لكن شكراً لك على تحضيرها لي».
انحنى الى الامام ووضع رأسه بين يديه وراح يتفحصها متسائلاً
ثم قال:

«لدي انطباع انك على وشك الفرار. أليس كذلك؟».
ترددت حيا ل تقبل ما قال فلعلها مخطئة في شأنه لكنها شعرت
بارتخاء شديد في ساقها وشعرت ان الشك الذي يساوره ظاهر
بوضوح في عينيها فقالت:
«اظن انه من الأفضل ان اعود الى الفندق لعل بارني بدأ يتساءل
عن مكان وجودي».

«لو كان الأمر يهمه لرافقك».
«لكن هذا خطأ فهو يهتم بي».
«وهل قلت له انك قادمة الى هنا؟».
«لا ليس فعلاً انما هو يعرف الاتجاه الذي سلكته».
«وهل سيلحق بك؟».
«لا ادري... ربما».
وضع فنجانها على الطاولة ثم انحنى مجدداً وابتسم قائلاً:
«انك فعلاً تحيريني يا سامنتا انا عاجز عن التقرير ان كنت الفتاة
الساذجة التي يدل عليها مظهرك ام انك ممثلة بارعة؟».
«لست اياً منهما».

«آه. تعالي. ودعينا من هذا، انت حتماً احداهما. كنت اميل الى
اعتبارك فتاة ساذجة لكن هذا لا يتماشى مع تجولك في انحاء
اسكتلندا برفقة رجل تدعين انه ليس زوجك ولا عشيقك ولا اخاك
كما ان هذا الوصف لا يطابق قدومك لزيارتي. ما هو سرّك يا
سامنتا؟».
«لا اسرار لدي».

نهضت من كرسيها وتوجهت الى الباب ووقفت لرهلة وقد
سحرتها روعة المنظر الذي رآته وانستها مشاكل الحاضر وقالت:
«كنت مهتمة بالتعرف اليك كونك فناناً، بكل بساطة».
«آه، فهمت الآن».

اقترب منها ووقف وراءها ولف خصرها بذراعه وهمس في اذنها:
«اود رسم صورتك يوماً ما، لكن الآن هناك اشياء من الأفضل ان
نفعلها».

وشدد قبضته على خصرها وانحنى نحوها يحاول معانقتها وغار
قلبها ذعراً بعد ان ادركت رعونة قرارها بزيارته وقالت له لاهثة:
«اتركني يا بيتر ارجوك لم آت لهذا الغرض».

لكنه لم يأبه وحاول معانقتها، فقاومته بشدة بيديها وقدميها وكادت
ان تخور قواها حين فوجئت بيدين قويتين تقبضان على بيتر وتقذفان
به بعيداً فيرتطم بحائط المنزل ويهوي على الأرض. جلس ينظر الى
مهاجمه وعادت الابتسامة الى ثغره ثم قال:
«اظن انك بارني ولا اظن انك اخوها كذلك».

بدأ بارني اقل غضباً مما توقعته سامنتا ولم يسألها حتى ان كانت على
ما يرام، مما اغضبها في تلك الظروف بل سمعته يقول له بصوت
هادئ ومؤدب:

«ربما لأنني لست اخاها. وهل يفترض بي ان اكون اخاها؟».
رفع بيتر روبرتس كتفيه ولم يزل جالساً على الأرض وقال مبتسماً:
«فهمت منها انك بمثابة اخيها».
«وهل ادركت خطأك الآن؟».
«واوياً بيتر ايجاباً وقال:

«حسناً يا صديقي. كنت اشك في ذلك من بادئ الأمر لكن
فانتتنا هذه ادعت انك لست زوجها ولا عشيقها ولم اجد اي صفة

اخرى تنطبق عليك».

«ما رأيك بخطيبها؟ ستتزوج في الثاني عشر من الشهر المقبل».

«آه، فهمت الآن».

وحدقت عيناه الزرقاوان بوجهها الغاضب وقال:

«لا تلعبين بصدق ايها الفتاة».

ثم ابتسم لبارني وقال:

«لكن اظن ان هذا التصرف من ضمن عاداتهن اليس كذلك؟».

وشرعت سامنتا تقول:

«لم...».

لكن بارني شدد قبضته على معصمها وضمها الى جانبه من دون

ان ينظر اليها حتى حين تكلم:

«لا اظن اننا سنلتقي بعد اليوم يا سيدي فاننا راحلان غداً

صباحاً».

«لا اريد...».

لكن بارني رماها بنظرة حادة وقال لها:

«نحن راحلان. والى ذاك الحين انصحك بعدم الابتعاد عني حتى

تتسنى لي مراقبتك».

كان هذا اسوأ ما يمكنه قوله في هذه اللحظة اذ انفجر بيتر ضحكاً

وشعرت بكره شديد نحوه رغم ادراكها انه غير مكترث ابداً

بمسيرها.

لم يترك بارني معصمها ثانية واحدة اثناء عودتها الى الفندق، وكأنه

خشى ان تعود الى الحرب والتزم بالصمت الى ان توقفا على مقربة من

الفندق في مكان معزول ولاحظت ان الارتفاع باد على وجهه حين

التفت نحوها يتفحصها بصمت ثم قال:

«لا تتعلمين ابداً من اخطائك اليس كذلك؟».

«اعرف تماماً ماذا افعل».

«آه لا اشك ابداً في ذلك. فكنت تحاولين على طريقتك المنهورة

الخاصة ان تثبتي لي اني لست الرجل الوحيد في حياتك على غرار ما

فعلت مع بيل سميث».

«كلا! لم...».

«طبعاً نعم. ما كنت تحاولين اثباته واضح تماماً لكنك تختارين

اغرب الاشخاص لادوار تمثيلياتك. اخترت اولاً دمية من دمي

ملاكي الاراضي القدامى، وها انت الآن تقعين على فنان فوضوي

لكني اهنتك على حبك للتنوع».

«توقف عن التصرف بالتعجرف هذا فانت تجهل كل شيء عن

شعوري ولست بحاجة الى ملاك حارس يتبعني الى كل مكان. لست

بحاجة اليك».

«اهذا رأيك اذن؟ وكيف تتصورين ان الفصل بينكما كان سيتهي

لولا تدخلتي؟».

«كان بامكاني ان اتدبر شؤوني بذاتي».

تمنت لو كان باستطاعتها الصعود الى غرفتها لبلورة الأمور المبعثرة

في ذهنها.

«كان بامكانك ان تدبري شؤونك بذاتك! هل جنتت يا

سامنتا؟»

لم يكن عاشقك الفنان هذا يمزح الم تفهمي ذلك؟».

«لم يزعجك هذا الشيء كثيراً؟».

«لاني لا استطيع ان الومه».

«ماذا؟ هل علي الافتراض ان الذنب ذنبي؟».

«طبعاً ذنبك - حين تذهبين لزيارة رجل يسكن وحده في مكان

معزول فمن الطبيعي الا يفكر الا بشيء واحد».

«لم ادرك هذا».

ونظر اليها نظرة تعجرف اغضبته ثم قال لها:

«لا اظنك بهذه السذاجة يا سامنتا بل أردت الانتقام مني برغم انكارك ذلك. ومقابلتك لصديقنا الفنان الملتحي تنبع من القرار ذاته حسناً، ارجو ان تكوني راضية عن النتيجة».

زاد قلقها كونه اقرب من الحقيقة وتمنت لو توقف عن التحديق بها لكنها اعترضت على كلامه قائلة:

«لم يكن هنالك اية نتيجة. لم يحدث بيننا شيء سوى محاولته عناقتي ولم تستطع الخوول دونها».

«أسف ان خيبت املك لكني قلت لك انني لا ألومه فهو كان يحاول انتهاز فرصة لا تعوض واي رجل كان تصرف مثله».

«كما فعلت انت مراراً حتماً».

«ها قد عدنا الى الموضوع ذاته. اظن انك ما زلت تشعرين بلسعة تلك العلاقات التي يفترض بي ان اكون اقمته مع النساء؟».

«يفترض بك، لا غير؟».

وضحك فسطعت عيناه ثم ضمته ذراعاه الى صدره الرحب وهمس:

«بت اصدق انك تغارين يا حبيبي».

وضحك مجدداً حين هزت برأسها مستنكرة ثم قال ملحاً:

«انا متأكد من ذلك!».

«انا لا اغار - اتركني الآن يا بارني - اتركني».

«لماذا اتركك. ستتزوج قريباً فلماذا تقاوميني بكل قواك كلما لامستك».

«لن اتزوج منك، اخبرتك بهذا مراراً - سأختار زوجي بنفسى متى رغبت في ذلك ولن اجبر على الزواج منك من اجل تلبية رغبة

عائلتي لا غير».

«انا ايضاً ارغب في الزواج منك. الا تقيمين وزناً لهذا الشيء ابداً».

«كلا فانت موافق على الزواج لانه سيجمع شمل المؤسسة».

«يا لله يا عزيزتي تصورين الاشياء وكأننا في حرب داحس والغبراء».

«لا يهمني هذا. لن اتزوج منك يا بارني وهذا قرار نهائي».

«سوف نرى. من هو الرجل المقبل على لاثحتك؟».

«يا لك من وحش. يا لك من وحش ظالم شيطاني وكريه».

«شكراً على لطفك».

«اني اكرهك».

«يا للأسف اذ سوف تضطرين الى تحملي طيلة حياتك. بعد وقت قريب».

«ان كنت تظن اني...».

«اعرف. اعرف».

وقطع عليها جميع احتجاجاتها حين ضمها الى صدره وعانقها بلطف ولهفة.

لائق».

«لم يقم بعمل غير لائق».

ضحك لبرهة ثم قال:

«وكيف لا. كنت تقاومينه بكل قواك حين وصلت برغم اصرارك

ان ما حصل هو مجرد عناق».

كان من الصعب عليها انكار ما قاله لكنها لم تشأ الاعتراف بحقيقة

شعورها في تلك اللحظة وخاصة بذاك الارتياح العظيم الذي غمرها

لوصوله في اللحظة الحرجة فقالت:

«كانت ردة فعل لا شعورية».

«هل انت متأكدة من ذلك؟ لقد لاحظت انك لم تقاوميني بهذه

الضراوة حين عانقتك انا».

«طبعاً قاومتك».

«لا، لا. حاولت جهدي ان تتفادي المعانقة لكنك تجاوزت كلياً

معها وكأنك استمتعت بها حين حصلت».

«انا!».

رتمه بنظرة ساخطة بطرف عينيها، لكنه راح يضحك بصوت

ناعم وكأنه يدرك تماماً شعورها فقررت الاحجام عن الخوض في

الموضوع خاصة انها عاجزة عن تحديد حقيقة شعورها نحوه.

ادركت انها باتت تجهل كل شيء عن مطاف الرحلة المستقبلي

وتمنت لو استطاعت ايجاد مخرج مشرف يخولها العودة الى المنزل بلا

هزيمة. لو قبل بارني ان يتركها وشأنها لكانت توصلت الى قرار نهائي

مهما كانت طبيعته لكنها باتت تدرك اكثر فاكثر مدى اعتمادها عليه

وفي المواقف الحرجة خاصة وهي تجهل ان كانت تستطيع مواجهة

احداث السفر من دونه وسمعتة يسألها فجأة:

«أين تريدان ان نذهب؟».

٦ - آخران على الطريق

امضت سامنتا ليلة هادئة وقد ادهشها هذا الأمر كونها تجادلت مع بارني من جديد اثناء تناولها العشاء وخرجت لنزهة بمفردها بعد العشاء. فقدت السيطرة على اعصابها وداعبها بارني كعادته وكأنها طفلة مما زاد غضبها.

صعدت الى الفراش باكراً وتوقعت ان تعجز عن النوم طيلة الليلة لكنها ما لبثت ان غرقت في نوم عميق تخللته بعض الأحلام الغريبة رأت فيها بيل سميث وبيتر روبرتس يلحقان بها عبر عمرات طويلة، وكلما فتحت باباً للتخلص منها وجدت بارني واقفاً خلفه ينتظرها. وافاقت من حالة الاستياء الحتمية تواجد بارني اينما ذهبت.

وكما اعلن بارني، غادرا الفندق في الصباح بعد تناولها الافطار لكنها فوجئت به يستشيرها حول وجهة سفرهما فقالت له اثناء توجيهها نحو الطريق العام:

«يدهشني ان تكلف نفسك عناء استشارتي!».

«لماذا؟ فالرحلة رحلتك وانت تقررين وجهة سفرنا».

«باستثناء بقائنا هنا، فهذا غير مقبول طبعاً».

«طبعاً. لكن مغادرتنا هذا المكان نابعة عن قرار حكيم، فلو بقينا

هنا لكانت ذهبت الى منزل صديقنا الملتحي من جديد، وقد لا اصل

هذه المرة في الوقت المناسب للحؤول دون قيامه بعمل غير

«لا ادري - الى اي مكان، لا فارق عندي».

«الى البيت؟ هل قررت الاستسلام اخيراً يا سامنتا؟».

هزت برأسها بثبات وقالت:

«كلا تابع القيادة وسوف نجد مكاناً في طريقنا».

«عظيم!».

خيل لسامنتا انها لمست خيبة امل طفيفة في نبرته.

سارت السيارة على طرق ضيقة سيئة التعبيد مليئة بالحفر لكن الطبيعة الخلابة والشمس الدافئة غمرتا سامنتا ارتياحاً فاسترخت في مقعدها واغمضت عينيها واسترسلت في افكارها.

«ماذا تفكرين؟».

هزت برأسها وقالت:

«لن اخبرك. لا اود اشراك احد في افكاري».

«حسناً يا سيدة الأسرار، لكنك بديت لي وكأنك تخططين لشيء

ما».

«انت مخطيء. اهتم انت بالقيادة ودعني استمتع بالرحلة».

لفت انتباهها شخص يسير على الطريق امامها فرفعت رأسها

وقالت:

«هناك شخص ينتظر سيارة تقله».

«هناك بالفعل شخصان. لكنني ظننتك نائمة».

«لا ابدأ. كنت استمتع بالمناظر الطبيعية».

«كسيدة متفرغة».

«ولم لا؟».

باتت تستطيع التمييز بين الشكلين فادركت ان هناك شخصاً

اطول من الثاني وكان الاثنان يجران اقدامهما تعباً فالتفت بارني نحو

سامنتا وسألها:

«ما رأيك؟ هل نأخذ ركاباً؟».

لم يكن من عاداته اقتراح شيء كهذا لكنها ما لبثت ان لاحظت شعراً اشقر طويلاً يتدلى على كتفي الشخص الصغير القامة فرفعت كتفها اذ شعرت انها لن تنزعج من رفقة غرباء في هذه اللحظة خاصة ان الارهاق باد بوضوح عليهما فقالت لبارني بتهكم:

«ولم لا. اظن انها بحاجة لمن يقلبها. واتوقع ان تكون المرأة

شاكراً لك في أي حال».

ضحك بارني ثم اوقف السيارة بالقرب منها فالتفتا ونظرا اليهما

وابتسمت عينا الفتاة الزرقاوان حين وقع نظرها على بارني الذي

سألها:

«هل تقصدان المكان الذي نقصده».

واومأت الفتاة ايجاباً بتلهف وقالت:

«نذهب الى حيث تذهبان».

وامسكت لتوها مقبض الباب.

ابتسم لها بارني حين جلست في المقعد الخلفي وتذكرت سامنتا

الفتاة الشقراء في فندق برايتون وادركت ان هذا النوع من النساء

الشقراوات لا يستطعن مقاومة اغراء بارني.

صعد رفيقها الى السيارة من دون حماس ولاحظت سامنتا انه

وسيم الملامح رغم تملله الواضح في هذه اللحظة وفسرت سامنتا

ذلك على اساس انها تشاجرا حتماً. والتزم كل منهما بالصمت لبعض

الوقت الى ان سألها بارني:

«الى اين انتما ذاهبان؟».

تكلم الرجل قائلاً:

«كنا نتمشى من دون هدف محدد».

«لكن المشي متعب في هذا الجو الحار».

واجابت الفتاة من دون تردد وببنبرة متكلفة:
«طبعاً. رفضت القدوم بادىء الأمر وانمى لو لم ادعه يقنعني
بالعكس».

ابتسم بارني ابتسامة تفهم ونظر الى الفتاة الشقراء في المرأة ثم
قال:

«لا بد انك مرهقة الآن».

رماه الرجل بنظرة حادة وقال:

«كان بإمكاننا ان نتدبر شؤونا بنفسنا».

«انت تعبر عن نفسك فقط».

صاحت الفتاة ثم استعادت بعضاً من هدوئها وابتسمت معتذرة
لبارني وقالت:

«انا آسفة. كنا نتجادل كما ترون لكن لا يحق لنا ان نزعجكما
بخلافاتنا».

«لا عليك».

وابتسم لها بارني في المرأة وفاض وجهها تحسراً وقالت:
«سئمت السير على الأقدام. اني اكراه ان اكون مرهقة، مغيرة وفي
وضع غير مريح».

«ادرك شعورك تماماً».

كانت المرة الأولى التي تتكلم فيها سامنتا والتفتت نحوها الفتاة
وكانها تلاحظها للمرة الأولى أيضاً. لكن الرجل قال:

«من الأفضل ان نعرفكما بانفسنا. اسمي ادوارد وارن وهذه
خطيبي باتسي غوردن».

«بارني فوستر وهذه خطيبي سامنتا داووليش».

اوشكت سامنتا ان تحتج على كلامه لكنها ادركت انه لن يجديها
نفعاً تفسير الأمور اذ سوف يظن الزوج انها في خلاف مثلها،

فصافحتها وانتهت الى ان باتسي غوردن تفحصتها بتأن ولاحظت
حتماً غياب خاتم الخطبة عن اصبعها. وقالت مخاطب بارني
مبتسمة:

«اشكرك كثيراً على توقفك ودعوتنا الى الركوب معكما فكنت
موشكة على الهلاك».

وضحك بارني وقد بدأ يستمتع باللعبة ثم نظر اليها في المرأة
وقال:

«معاذ الله. معاذ الله».

«ادوارد رجل نشيط جداً وهو لا يدرك اني لا اصلح للسير
مسافات بعيدة على الأقدام ولقد اخبرته مراراً انه بحاجة الى امرأة
قروية نشيطة لا الى حسناء من المدينة مثلي».

ابتسم بارني متودداً ثم قال:

«لا اتصورك ابداً من النوع الذي يسوى السير الطويل
المدي».

«لست من هذا النوع ابداً وازيافة الى ذلك فانا اكراه السندويشات
والقهوة المخزنة في الأوعية المبردة».

ضحك بارني وكان واضحاً تعاطفه مع الفتاة وتساءلت سامنتا عن
مدى استعدادها للاستمرار في موقفه المتعاطف هذا وتجاهله استياء
خطيبيها الواضح. لكنها سمعته يقول:

«هناك فندق صغير نصله بعد قليل فما رأيكم ان نتناول الغداء اذا
امكن ذلك؟».

وصاحت باتسي قبل ان يتسنى لاي منهم التعبير عن
رأيه:

«عظيم. فالجوع ارقهني».

ذكرها رفيقها بلهجة مستاءة:

«لدينا وجبة طعام معلبة وهي تكفيها».

تهددت باتسي وكأنها مشرفة على الهلاك ثم قالت:

«قلت لك اني سئمت السندويشات. افضل وقعة ساخنة واني مصممة على ذلك. باستطاعتك انت ان تذهب وتأكل السندويشات في العراء ان اردت اما انا فساتناول طعاماً شهياً وساخناً واستمتع به».

بدأت سامنتا تشعر بالأسى حيال ادوارد وارن لثمادي بارني والفتاة الشقراء في تجاهلها شعوره وهو اضافة الى ذلك رجل وسيم وجذاب رغم تقطعية حاجبيه المستمرة.

التفتت نحوه وابتسمت قائلة:

«يسرني جداً ان تتناول الغداء معنا يا سيد وارن».

نظر الى الفتاة قبل ان يتجرأ ويتسم لها ويقول:

«يسرني ايضاً، ان كنت فعلاً ترغبين ذلك».

رمته باتسي غوردن بنظرة متعجبة ومرتابة لكن تلهفها لتناول طعام شهى حال دون ابدائها اي اعتراض فقالت:

«لي فستان في حقيبي - سوف ارتديه واعود من جديد الى بعض التمدن».

قدم لهم صاحب الفندق وزوجته طعاماً شهياً ولم يترددوا في طلب المزيد منه واستغلت باتسي غوردن الفرصة لالتهام كمية كبيرة من الطعام وكأنها تخشى الا تسنح لها فرصة مماثلة الا بعد وقت طويل. وكانت قد ارتدت ثوباً اصفر يبرز جسمها ووضعت اقراطاً في اذنيها وانفردت بالحديث مع بارني طيلة الغداء تاركة سامنتا برفقة ادوارد الذي انزعج لهذا بادىء الأمر لكنه ما لبث ان ظن ان الحظ قد يحالفه مع سامنتا فاعارها كل انتباهه وسألها:

«هل تحبين المشي؟».

وأومات سامنتا ايجاباً فانحنى باتجاهها ووضع يده بتردد على يدها وقال:

«كان افضل لي لو اتيت انت معي في هذه الرحلة عوضاً عن باتسي. فهي تكره المشي».

«لكن المناظر الطبيعية رائعة الجمال وخاصة في هذه المناطق».

«رائعة فعلاً. اقول دائماً لباتسي انها لو استطاعت التركيز على جمال المناظر لنسيت تعبها».

«لكن اظن ان السفر في السيارة يبقى اقل تعباً. اني اتعاطف الى حد ما مع الأنسة غوردن خاصة انها غير معتادة على المشي».

وألقى نظرة خاطفة على باتسي كي يتأكد انها لن تسمعه لكنها كانت غارقة في حديثها مع بارني ثم عاد والتفت نحو سامنتا وقال:

«اعتقد انني ظلمت باتسي بعض الشيء فهي لا تحب الريف كثيراً فيما اعشقه انا».

«هذا يعقد الأمور اليس كذلك؟».

«آه، فقط اثناء العطل والأعياد وفيما عدا ذلك فنحن متفقان».

رمى باتسي التي كانت تتحدث مع بارني وتتودد اليه وقطب حاجبيه مستاء ثم قال:

«يبدو انها استلظفت رفيقك. ارجو الا يتكون لديك انطباع خاطيء عنها يا آنسة داووليش».

«كلا - حتماً لا فأنا اعرف بارني».

«آه. فهمت فهو يحب رفقة النساء. وقد اوحى لي مظهره بهذا الشيء».

«بارني يتجاوب دوماً مع المرأة التي تشجعه فهو يحب رفقة النساء ولا يتوان عن اعلامهن بذلك».

«وانت لا تمنعين في هذا».

اخفضت عينيها لأنها ادركت انها مقدمة على كذبة اذ قالت:
«آه، لقد تعودت على تصرفاته واني اعرف تماماً ان هذه الأمور لا
تعني شيئاً فلا امانع؟».

«انت فتاة عظيمة».

مد ادوارد يده وامسك بيدها ثم قال:

«من المؤسف الا يدرك حسن حظه».

سحبت سامنتا يدها بلطف وقالت:

«آه - بارني يدرك تماماً من انا».

وكانت تعرف تماماً انها تقول الحقيقة لكنها اضطربت لكون بارني
نجح في اثاره غيرتها وقد صدمت لشعورها بالكره نحو باتسي غوردن
لاستحواذها في هذه اللحظة على اهتمام بارني المطلق. كان شعور
الغيرة هذا جديداً بالنسبة لها وقررت التخلص منه بأسرع وقت
وسألت ادوارد:

«الى اين ستذهبان لاحقاً».

رفع ادوارد كتفيه ثم رمق باتسي وقال:

«لست ادري. باتسي تفضل ان نعود الى البيت اما انا فأود البقاء
لمدة اطول».

«هل مضي وقت طويل على سيركم».

«ليس فعلاً. نحن نسير منذ اربعة ايام».

روعتها الفكرة لكنها حاولت ان تخفي عنه حقيقة شعورها
فقالت:

«انه وقت طويل لمن ليس متعوداً على المشي. لماذا لا ترتاحان
لبعض الوقت ثم تتابعان رحلتكما؟».

«اظن انك على حق، بحيث يتسنى لباتسي التقاط انفاسها».

«اعتقد ان الفندق هذا يستقبل النزلاء، لقد رأيت بعض الناس
ينزلون الدرج هذا وراءك وكأنهم يقيمون هنا».

التفت الى الخلف والقي نظرة على الدرج ثم قال:

«انها لفكرة رائعة واني متأكد من ان باتسي ستسرها».

«وانا كذلك».

«وهل انت والسيد فوستر باقيان ايضاً؟».

«هذا جائز».

نظرت الى بارني وفاجأته بابتسامة اربكنه رغم محاولته لتجاهلها
ومتابعة الحديث مع رفيقته وسمعت ادوارد يقول لها بلهفة:

«آمل ذلك. اود ان... آه اني آسف لا يحق لي قول ذلك».

«قول ماذا؟».

وابتسمت تشجعه فأجاب:

«آمل ان تبقي انت ايضاً. اود ذلك كثيراً».

«اعتقد اننا سنبقى. فقرار البقاء يعود لي ولقد احببت الفندق هذا
فسوف نبقى فيه ليوم او يومين، اذا وجدنا غرفاً طبعاً».

ورجع الى الورا بغرور ثم قال:

«سأتحقق من وجود غرف وافاجئها».

«عظيم وسأحجز غرفتين لبارني ولي اذا امكن ذلك».

فوجيء بالفكرة وكأنه توقع ان تستشير بارني فيما شعرت سامنتا
بسرور ماكر لفكرة حجزها غرفة لبارني من دون علمه او مشاركته.

«هل ستحجزين غرفة له ولك؟».

«اود مفاجأة بارني ايضاً. هلم بنا».

ثم التفتت نحو بارني وباتسي وقالت:

«ارجو المذرة منكما. لن يطول غيابنا».

برغم اهتمام باتسي ببارني عادت الى ذهنها توأ حقوق الملكية على

ادوارد وقطبت حاجبيها في وجهه حين نهض من كرسيه برفقة سامنتا فالقت عليه نظرة حادة وقالت:

«الى اين تذهب؟»

«لن اتغيب اكثر من بضع دقائق لا تقلقي».

«لكن...»

كانت على وشك الاحتجاج لو لم يمسك بارني يدها بين يديه ويتسّم لها باقناع قائلًا:

«ما رأيك ان تجلسي وتسامريني، اذ ينفع احياناً تبديل الرفقاء».

ثم رمق سامنتا لبرهة حين وافقت باتسي على كلامه وادركت سامنتا انها اقتنعت بسرعة من دون ان تعلم ان بارني يستعملها لاغراض شخصية. توجهت مع ادوارد وارن الى غرفة الاستقبال الصغيرة حيث التقت بامرأة عجوز جالسة وراء المكتب رمقتها بارتياب.

وسمعت ادوارد يهمس في اذنها حين بلغا المكتب:

«تفضلي أولاً».

لكن سامنتا هزت رأسها بحزم وقالت:

«لا ارجوك - تفضل انت واسأل عن غرفتين لكما لأنه في حال وجود غرفتين فقط بإمكاننا الذهاب الى مكان آخر بسهولة اما انتي فلا».

«هل انت متأكدة».

«متأكدة - شكراً لك».

ابتسم لها شاكرًا والتفت نحو السيدة العجوز التي مالبت ان لبث طلبه قبل ان تلتفت نحو سامنتا وتقول لها:

«اخشى الا يكون قد بقي لدينا سوى غرفة واحدة. وهي لشخصين ان كنت تقبلين بها».

«اريد غرفتين. اليس لديكم اية غرفة اخرى؟».

وقفت العجوز تفكر ثم دخلت الى غرفة داخلية وعادت بعد لحظات مبتسمة وكأنها ربحت جدالًا وقالت:

«هناك غرفة صغيرة في الجهة المقابلة للباحة. لا كهرباء فيها لكنها مريحة جداً وفيها سرير مفروش فان كان السيد يقبل بها اهلاً وسهلاً».

ابتسمت لها سامنتا شاكرة وقبلت بالغرفة لبارني من دون اي تردد ثم قالت:

«حسنًا سناخذ الغرفة لكني لا اعرف مدة بقائنا بالتحديد كوننا نسوح في انحاء البلاد هل توافقين؟».

«طبعاً. لا تقلقي لذلك».

التفت سامنتا نحو ادوارد وقالت:

«والآن - بقي ان ازف الخبر لبارني بالطرف طريقة ممكنة».

لم تتح لها الفرصة باخباره عن الغرفة الا حين نهضوا للرحيل وسأل بارني:

«هل يمكننا توصيلكما الى أي مكان؟».

وتبادل ادوارد وسامنتا نظرة خاطفة ثم تكلم ادوارد قائلًا:

«شكراً لكننا سنبقى هنا».

ونظر الى باتسي يترقب ردة فعلها فقالت بارتياب:

«ماذا تقصد؟».

«ظننت انك سثمت من المشي فحجزت لنا غرفتين ليوم او يومين».

حدقت به عيناها الزرقاوان لبعض الوقت ثم ابتسمت وضمت ذراعه الى جنبها وقالت:

«انت رجل رائع يا ادي».

«انها فكرة الأنسة داووليش بالحقيقة».

«آه فهمت».

انقرصت شفتها السفلى تعبر عن بعض الازدراء وكأنها لم تغفل عنها الدوافع التي حدثت بسامنتا الى اقتراح فكرة بقائهما ثم قالت:

«آه - من الطبيعي ان تقترح شيئاً كهذا».

والقت نظرة عابقة ومتوددة نحو بارني ثم ابتسمت بغنج وقالت:

«ربما التقينا من جديد يوماً ما».

«ربما».

اجابها وكأنه يفكر في امور اخرى وايقنت سامنتا انه يتساءل في هذه اللحظة عما اذا كانت الغيرة هي التي فعلاً دفعتها الى اقتراح فكرة بقائهما في الفندق وسرت مسبقاً لخبية الأمل التي سيصاب بها، فقالت له بخفة:

«آه! سبقي نحن ايضاً».

قطب بارني حاجبيه بغضب وسألها:

«آه وهل صحيح هذا؟».

«نعم - لكن اخشى ان اقول لك انه لم نجد غرفاً لنا جميعاً في الفندق فاضطرت ان اقبل بغرفة صغيرة لك تقع في الناحية المقابلة للباحة».

«هل فعلت حقاً هذا؟ وما هي هذه الغرفة، ترى؟».

«لست ادري لكن السيدة قالت انها مريحة جداً وفيها سرير لكن بلا كهرباء».

«فهمت - لقد دبرت لي مكاناً في الاصطبل مع الاحصنة».

ظن ادوارد وباتسي انها مقدمان على خلاف ففضلا الانسحاب

بسرعة واعددين باللقاء حول مائدة العشاء وما ان غادرا حتى امسك بارني ذراع سامنتا بقوة ودفعها الى الباحة امام الفندق.

«بارني...».

«تابعي السير».

سارا لبضع دقائق حتى بلغا مكاناً منعزلاً نوعاً ما وتوقف بارني فيها حاولت سامنتا استعادة انفاسها وشعرت بالغضب يجتاحها فسمحت ذراعها وصاحت به قائلة:

«ماذا تفعل بي...؟».

«اني ابعدك عن الفندق حتى لا يسمع صراخك اذا ضربتك. اما الآن اود معرفة ماذا فعلت ولماذا؟».

«قلت لك اني حجزت لنا غرفتين في الفندق لبضعة ايام».

«حجزت لي غرفة في مكان ما في العلية ومن دون استشارتي».

«ولماذا استشيرك؟ وهل تستشيرني انت حول اي شيء بل تكفي باصدار الاوامر وتتوقع مني ان انفذها، هذه المرة اخذت المبادرة بنفسي».

«هذا واضح - ولكن الم يلعب ادوارد الوسيم دوراً في قرارك المفاجيء هذا؟».

«تصور ما تشاء».

امسك ذراعها من جديد وارغمها على النظر اليه وقال:

«هل شعرت بميل نحوه. هل ستضمينه الى قائمتك».

«انت تتخيل اموراً لا وجود لها. ولا اظن انك تخول لانتقادي وقد احتكرت الفتاة اللعوب باتسي كل وقتك».

«كنت اتوقع ان تتطرق عابلاً ام آجلاً الى هذا الموضوع. لكني

اعتقدت ان ما حدث يشكل سبباً اضافياً كي ترغبي في الرحيل».

«لماذا - لا تهمني تصرفاتك ولقد قلت لك هذا من قبل».

«وانا لا اصدقك».

نظرت اليه لبرهة عاجزة عن ايجاد الكلمات المناسبة للرد، ثم استدارت واتجهت عائدة نحو الفندق فيما بقي هو واقفاً في مكانه غارقاً في افكاره:

«سامنتا!».

تجاهلت نداءه وتابعت السير متخطية الفندق واتجهت نحو البحيرة. وكانت ترفض ان تلتفت نحوه وتتعرف له بغيرتها. وشعرت فجأة بانامله تلتف حول ذراعها وراح يمشي الى جانبها بصمت تام. كان الجورائعا والشمس دافئة ورحبت سامنتا بالنسيم العليل الذي جمد صفحة المياه. انزلت يده من ذراعها وامسكت يدها بقوة فلم تحاول تفادي ملاسته، لكنها تابعا السير بصمت. وراحت تقذف بقدمها بعض الحصى البضاء على شاطئ البحيرة وتتمنى لو وجدت مخرجاً من الوضع هذا. ثم عادت الى الحالة الطبيعية كي يتسنى لها التمتع بجمال المكان وهدوئه وشاعرية سيرهما جنباً الى جنب ويدا في يد، لكن للأسف بدا لها وكأنهما في خلاف متواصل وقد تغير كل شيء بينهما واكثر ما كان يربكها هو التحول الذي يشهده بارني في نظرها.

وسمعه يقول بصوت هاديء:

«يا لروعة هذا المكان».

«انه مكان ساحر فعلاً - اتمنى لو...».

«تتمنين ماذا؟».

«لا شيء».

«سامنتا...».

توقف وجعلها تستدير وتواجهه ثم نظر اليها بعينه الداكنتين

وقال:

«لماذا؟ لماذا تحولت الأمور بهذا الشكل بيننا».

«بهذا الشكل؟».

ابتسمت بحزن ثم نظرت الى صفحة المياه المتلألئة والى الاشجار الظليلة المتأرجحة وقالت:

«احبها كما هي. هادئة وساكنة - ليتها تدوم العمر لكامله».

«لكن يا حبيبي لا يمكن ان تدوم - وانت تعرفين ذلك لا يمكنك العيش في عالم الاحلام طيلة الوقت. عليك ان تعودى يوماً ما مهما حاولت المقاومة. يجب ان ننفذ المخطط المرسوم. هذه هي حال الدنيا وليس بوسعنا تعديل مجرى الأشياء».

«استطيع المحاولة. لا شيء يضطرنى للعودة. ليس لدي اي ارتباطات، لا وظيفة ولا...».

«ولا زوج... اما زلت مصممة على العيش في عالم احلامك؟ حاولي تفهم موقعي. اريد ان اتزوجك وانت تعرفين ذلك وكنت موافقة على الزواج مني، فما سبب التحول المفاجيء؟».

«لست... لست ادري اذا حصل تحول في ذاتي، لكنني رايت نفسي في المرأة عند الخياط وادركت فجأة اني دمية اعيش نمطاً واحداً من الحياة، اني اقوم بالنشاطات ذاتها كل يوم. كتب لي ان اتزوجك من غير ان اقف ولو مرة واحدة وافكر في حياتي وزواجي. وكأنني منجرفة لا شعورياً في تلك المشاريع واجهل حتى ان كنت راغبة في الزواج منك او من غيرك».

«آه - فهمت - اهذا ما تحاولين اثباته. ان كنت راغبة في الزواج من غيري؟».

«تقريباً».

«حسناً - لكنني ارجو ان تسرعى وتنتهي من تجاربك هذه فهي نضعنا على حافة بركان موشك على الانفجار».

نظرت اليه ورأته يتسم ابتسامة لطيفة ومتهكمة فقالت:
«ارى انك تتحمل هذا الوضع بسهولة وانت محاط بمجموعة من
الفتيات الشقراوات المستعدات للارتقاء بين ذراعيك اينما ذهبت».
لامس طرف انفها باصبعه ثم ابتسم وقال:
«وانت تغارين منهن جميعاً. لا تنكري ذلك يا حبيبتى فالأمر
واضح».

«انكر ذلك بشدة. لكني اكره ان تستعرض نفسك. فذلك يرتد
علي متى اكون معك».

«سأحاول تذكر ما قلت يا حبيبتى».
«اشعر بالأسى نحو ادوارد وارن. فهو رجل لطيف اما رفيقته
باتسي فهي...».

قاطعها وهو يرفع يده محذراً ثم ابتسم:
«لا تنحرفي كثيراً في مؤامراته والا اضطررت للتدخل».
«لا تنجراً على ذلك. فالأمر لا يعنيك ابداً يا بارني».
«بل يعنيني اذا ترك بين يدي فتاة شقراء تبكي وتنوح او اذا فر في
رحلة على الاقدام برفقتك».
«هذا مستبعد جداً».

«ومن قال لك هذا؟ لا اظن انه رجل يترفع عن عمل كهذا اذا ما
سنحت له الفرصة».

«لكن لا نية لي في التواري مع اي كان - فهناك قاسم مشترك بيني
وبين باتسي غوردن وهو اني لا احب الاستغناء عن مصادر رفاهيتي
واستبدالها برحلات سير على الاقدام».

«لم لا تعودين الى البيت اذن؟ جميع اساليب رفاهيتك موجودة فيه
بالاضافة الى تلهف العم نيكولاس لعودتك».
«كلا - لم يحن الوقت بعد لعودتي الى العش وقد لا اعود ابداً».

تنهد بارني بصمت وقبل جبينها وكأنه في غيبوبة ثم قال:
«ارجو ان تتوصلي الى قرار بسرعة والا فلا يبقى لدينا اماكن
نزورها».

٧ - اجمل من اي فستان

فوجئت سامنتا حين ادركت انها على طاولة منفصلة عن طاولة باتسي وادوارد، وتساءلت عن سبب هذا التدبير خاصة ان بارني اظهر ميلاً واضحاً نحو الفتاة الشقراء. والقت نظرة عليها فابتسم لها ادوارد بارتياح ولا حظت ان باتسي متململة بعض الشيء، رغم انها مكها بالطعام.

وسمعت بارني يسألها:

«هل خاب املك؟»

«كلا - وانت؟»

«قلت لك مراراً اني افضل ذوات الشعر الاحمر على الشقراوات.

اعتقدت انك ادركت هذا الامر».

«يصعب تصديقك».

رمى شعرها الذهبي الاحمر المرفوع عن عنقها وابتسم باعجاب ثم

قال:

«احب تصفيفة شعرك هذه - فهي تضفي عليك رونقاً

جذاباً».

«شكراً».

تابع تناول طعامه بصمت لبعض الوقت ثم وضع شوكتة في طبقه

ومد يده بمسكاً باناملها ثم تنهد قائلاً:

«ما اصعب كسب مودتك - توقعت ابتسامة بسيطة رداً على مديحي لشعرك».

سحبت سامنتا يدها بسرعة كي لا يكتشف شدة ارتجافها وتابعت تناول طعامها. ازعجها اسلوب بارني الاستعراضي خاصة ان عيني ادوارد وارن لا تفارقانها لحظة او ربما بسبب ذلك.

رمقت بارني وقد اخمر خداهما وقالت:

«هذه اول مرة تعلق على تصفيقتي هذه - ما كنت كلقت نفسك هذا العناء لو لم تبغ تحقيق غاية معينة».

«لاحظته من قبل لكنني لم اعلق عليه لاعتقادي انك لا تقيم وزناً لهذه الأمور».

«انا امرأة - اليس كذلك؟».

ابتسم ببطء ثم قال:

«بكل تأكيد».

«لكنك تعودت على معاملتي وكأنني احد اصدقائك الشبان او كأنني

اختك الصغرى. ولن يجديك تغيير تصرفاتك الآن من اجل تحقيق

اهدافك. اني اعرف جيداً حقيقة شعورك نحوي يا بارني».

«لا تعرفين ما كانت حقيقة شعوري ولا ما هي عليه الآن.

اعترف لك اني لم اعرك القدر الكافي من الاهتمام من قبل لكن الامر

مختلف اليوم - اريد حقاً ان اقول لك انك رائعة الجمال وان شعرك

جميل. اني اغازلك يا سامنتا واتوقع منك ان تعطيني بصيص امل بين

الحين والآخر، ابتسامة او كلمة لطيفة».

«لا تكن سخيلاً يا بارني».

ادركت ان ارتباكها هو الذي دفعها الى استعمال هذه اللهجة

القاسية والقت نظرة خاطفة على طاولة باتسي وادوارد.

«هل اقتنعت الآن انك لا تعرفين التصرف حين احاول ان

اغازلك».

«فات الأوان يا بارني - اني اعني تماماً أسباب مغازلتك لي الآن ولا احب من يهزأ مني».

تنهد بعمق وانكمشت اسارير وجهه ثم تناول سكيناً وقال:
«انت أعند وأحق حمارة صغيرة رأيتهما في اسكتلندا - ارجو ان تخفك السمكة التي تأكلينها».

... امضيا معظم النهار التالي في التنزه في الريف المجاور.
واصرت سامنتا على التنزه سيراً على الاقدام مدعية انه افضل اسلوب للاستمتاع بالمناظر الطبيعية وفاجأها بارني حين لم يعترض على اقتراحها فعاداً مساء الى الفندق وقد احمرت خدودهما وانفتحت شهيتهما على الطعام وسمعت بارني يهمس لها:
«يمكنني التهام حصان بكامله».

ثم لوح بيده رداً على تحية باتسي غوردن بينما تجاهلتها سامنتا لكنها ابتسمت لادوارد حين دخل قاعة الطعام وجلس الى مائدتهما ثم قالت:

«أنا أفضل بعضاً من السمك اللذيذ الذي قدم لنا البارحة».
«من هذا السمك الذي تم صيده ليلة البارحة في البحيرة».
«صحيح؟ ومن قال لك انه اصطيده ليلة البارحة».
«لا احد. لكن القمر ليلة البارحة كان مؤثياً للصيد».
كانت قد صعدت باكراً الى الفراش الليلة الماضية وتساءلت عما فعل بارني بعد ان تركته. ربما لحق بباتسي وادوارد الى مقهى الفندق وتناول برفقتهم بعض الشراب.

«ماذا فعلت الليلة الماضية يا بارني؟».

«طرب وشراب امضيت وقتاً طيباً».

«اصدق ذلك لكن هذا مستبعد في مكان كهذا».

«آه - ذهبت الى المقهى بعد رحيلك. وكان يعج بالناس كان عليك ان تأتي يا حبيبي».

«هل جلست معها؟».

ابتسم حين اشارت الى باتسي وادوارد ثم قال:

«معها - كان ادوارد مرهقاً وصعد الى الفراش باكراً كما فعلت انت».

«فهمت».

وضحك بصوت ناعم ثم قال:

«تظنين انك فهمت يا حبيبي».

«آه - لا يصعب التكهن ان الأنسة باتسي لن تتركك تسهر لوحذك. فهي تؤمن بضرورة استغلال الفرص التي تسنح لها - انا متأكدة من ذلك».

«عزيزتي سامنتا».

وانحنى فوق الطاولة وقال لها بصوت منخفض وعينين براقيتين:

«بدأت تتصرفين وكأنك قطعة صغيرة ويا لسوء نيتك ان كنت تفكرين بما اظن انك تفكرين».

«اني افكر بما هو بديهي».

«أصحيح هذا؟ اظن ان لي حقاً مشروعاً في ان يساورني الشك ايضاً».

«ما... ماذا تعني؟ تعلم جيداً اني صعدت الى الفراش باكراً».

اوماً ايجاباً من دون ان تفارق البسمة ثغره وقال:

«ورأيت ادي وارن يصعد الى غرفته باكراً ايضاً هل ينبغي ان اقفز الى الاستنجات البديهي؟».

حدقت به سامنتا وقد احمر خذاها وصاحت به :

«يا لك . . . يا لك من وحش شنيع ومشكك» .

«ما ينطبق على زيد ينطبق على عمرو» .

«لكنك تعلم جيداً اني لا افعل شيئاً كهذا» .

«انا اظن انك لا تفعلين شيئاً كهذا، لكني بدأت اتساءل اخيراً ان كنت حقاً اعرفك جيداً» .

«تعتقد اني . . .» .

«لكنك تعتقدين اني . . .» .

ابتسم ثم عاد الى الاهتمام بطلب وجبة الطعام فيما راحت الخادمة تنظر اليهما بارتياح ثم التفت نحوها وسألها :

«ماذا تريدان ان تأكلي؟» .

هزت سامنتا رأسها وكأنها منهوكة القوى وقالت :

«اي شيء - اطلب لي ما تشاء» .

لم يتكلم كثيراً اثناء الطعام لكنها رمقته مرة او اثنتين بطرف عينيها محاولة التأكد من كونه يعني فعلاً ما قاله عنها وعن ادوارد وارن ام لا .

وكانت تتمنى الا يكون جاداً فهي تكره ان يسيء الظن بها رغم قرارها عدم الزواج منه .

«بارني» .

«نعم» .

«هل تعتقد فعلاً اني . . .» .

عضت على شفتها كي لا تنفوه بالكلمات من جديد لكنها نظرت اليه في ثبات الى ان قال :

«وهل تعتقدين فعلاً اني؟» .

ترددت لحظة ثم هزت رأسها :

«كلا ليس فعلاً» .

«سوي الأمر اذن - هيا بنا ننس القضية برمتها . اتوافقين» .

«وافق» .

قررا التوجه في السيارة الى بقعة تطل على مناظر خلابة وجلست سامنتا على مقعد خشبي تنتظر قدومه في السيارة واذا بها تفاجأ بباتسي غوردن وقد احتلت المقعد الخلفي وكأنها مصممة على مرافقتها في التزهة، لم تشأ كتم استيائها للوضع فرمت الفتاة الشقراء بنظرة غاضبة قبل ان تلتفت نحو بارني وتسأله :

«هل ستأتي الأنسة غوردن حقاً» .

«ان كنت موافقة - لقد ذهب ادوارد الى المكان الذي نقصده سيراً على الاقدام وبقيت باتسي بمفردها فعرضت عليها مرافقتنا» .

«فهمت» .

وتنهدت باتسي غوردن فيما رفرف جفناها بيأس انشوي وقالت :

«لم يكن بومسي مواجهة تعب المشي على الأقدام لهذه المسافة الطويلة فمضى ادوارد وحده واظن انه غضب مني لكنني متلهفة لزيارة المكان فهو يطل على مناظر خلابة . لقد اخبرونا عنه ليلة البارحة اليس كذلك يا بارني؟» .

اكتفى بارني بالابتسام وقال :

«هلم بنا نذهب اليه ونؤكد بأنفسنا» .

صعدت سامنتا الى جانبه وفكرت ان قرار توزيع المقاعد اتخذته بارني والا لكانت وجدت نفسها في المقعد الخلفي .

بعد بضع دقائق اتخذت السيارة طريقاً جانبياً يتسلق الجبل بانحدار قوي وما لبث بارني ان قال :

«لقد وصلنا» .

وتنهدت باتسي ثم قالت :

«ما اسهل الوصول اليه بالسيارة وما اصعبه سيراً على الاقدام . آه لو كان ادوارد يملك سيارة» .

«ما دمنا نتكلم عن ادوارد اظن اني اراه يتسلق المنحدر» .
واشار بارني باصبعه الى رجل يتسلق التلة بسرعة كبيرة وسألته سامنتا:

«هل تعتقد انه سوف يرانا» .

واجابتها باتسي وكأنها غير متلهفة ابداً ان يلحق بهم ادوارد:

«انا متأكدة من العكس فهو يدخل في نوع من الغيبوبة اثناء السير ولا يعود يتنبه الى احد» .

«ستوقف ولنلوح له» .

نفذ بارني كلامه فوراً فوقف محرك السيارة ونزل من السيارة واضطرت باتسي الى الاقتداء به برغم انها لم تكن ترغب ابداً في اللحاق بادوارد . ووقفت على شفير الهاوية وكان همها الوحيد هو معرفة ردة فعل بارني حيال وضعها المتأرجح بين اليابسة والهاوية . ولاحظها اخيراً فمد يده وسحبها الى الأمان ثم قال لها:

«من الأفضل ان تراجعني قليلاً والا تدرجت نزولاً الى حيث يسير ادوارد» .

امسكت باتسي ذراعه بيديها الاثنتين وصاحت خائفة آه - لم ادرك خطر موضعي - شكراً على مساعدتك يا بارني» .

«لا شكر على واجب» .

احتفظت بيديها على ذراعيه وراحت تحلق في الوادي وترتعش قائلة:

«يا لقوة انحدار هذا الوادي - اشعر بدوار حين انظر الى اسفل» .

«لا تنظري اذن الى اسفل» .

«يا لقساوتك يا بارني» .

وسألت سامنتا:

«هل سنتظر ادوارد؟» .

وكانت قد بدأت تشعر بقرف شديد لتصرفات الفتاة الشقراء الاستعراضية .

التفت بارني نحوها وبرقت عيناه ضحكاً فاحمر خداهما حين ادركت السبب . لقد ظن انها تغار من باتسي غوردين . ومد يده نحوها لكنها تفادتها وكأنها لم تنتبه لحركته فيما بقيت الفتاة الشقراء متمسكة به .

«يمكننا انتظاره . ربما شعرت باتسي برغبة في مرافقته الى الفندق فطريق العودة سهلة اذ لا صعود فيها . اليس كذلك يا باتسي؟» .
«لا - لا تتخل عني يا بارني بهذه الطريقة» .

«لا انوي التخلي عنك لكن لربما سر ادوارد ان مشيت معه» .
نظرت الى ادوارد في اسفل الوادي واكفهر وجهها ثم قالت:
«اعتقد انه سيسر لذلك لكني افضل ان يأتي هو معنا على ان اسير كل هذه المسافة برفقته» .

انتبه ادوارد وارن اخيراً الى وجودهم ولوح بيده . لم يفاجأ بوجود باتسي معها وتساءلت سامنتا اذا كان يتوقع ان تعود باتسي برفقته .
وحين وصل الى مكانهم وقد انهمر العرق من جبينه قال له بارني:
«انك حقاً تختار الطريق الشاق - اما نحن فلقد اتينا بالسيارة» .
«ارى انكما احضرتما باتسي ايضاً، كنت اتوقع ان تأتي معكما حين قررت الذهاب بمفردي» .

«لا اظنك توقعت ان اجلس في انتظارك طيلة بعد الظهر» .
«هل ستعودين برفقتي يا باتسي؟ العودة كلها نزول» .

«كلا - اني باقية مع بارني».

ولاحظت سامنتا ان باتسي قالت مع بارني وليس مع بارني وسامنتا وكأنها غير موجودة - وبدا الغضب على ملامح ادوارد وشعرت سامنتا بالأسى نحوه من جديد ولو تصرف بقساوة اكبر مع باتسي لتغيرت الأحوال كثيراً بينهما وسمعت سامنتا نفسها تقول: «سأرافقك أنا الى الفندق».

وتساءلت لتوها عما دفعها الى اقتراح كهذا، لكنها تكهنت انه لربما كان صمت بارني وعدم تشجيعه لباتسي على مرافقة ادوارد هما اللذان دفعاها الى اقتراح مرافقته، لكنه كان قد فات الأوان وشعرت بعيونهم جميعها تحديقها وقد بدا ادوارد مسروراً باقتراحها فيما ظهرت علامات الصدمة على ملامح باتسي وبدا بارني متململاً من الوضع وسمعتة يقول لها:

«لا يمكنك العودة سيراً على الأقدام يا سامنتا».

«ولم لا؟».

«لست معتادة على السير - لن تتمكني من قطع نصف المسافة».

«انت مخطيء يا بارني».

«لا تتصرفي برعونة».

شعرت سامنتا ان كلامه هذا هو الذي رجح كفة الميزان فالتفتت

نحو ادوارد وسألته بلطف:

«هل يمكنكني مرافقتك؟».

«طبعاً. طبعاً».

بدا وكأنه غير مصدق لما يحدث، اما باتسي فكانت حائرة بين تقبلها للفكرة ورفضها. فقد اتيح لها من جهة فرصة الوحدة مع بارني لفترة من الوقت لكن ادوارد يشكل عصفوراً في اليد فيما لم يكن بارني متلهفاً كثيراً للانفراد بها، لكن سامنتا قالت بعزم:

«اذن. سأرافقك حالما استعدت قواك. وانا متأكدة من ان بارني وباتسي لن يمانعا ابداً».

«هل تمنع يا بارني؟».

«وهل يهمك اذا مانعت ام لا؟».

«ليس فعلاً يا عزيزي».

لم يكن نزول التلة بالصعوبة التي توقعتها سامنتا بل كانت تشعر بدوار ممع كلما وقفت على السفح وتأملت الفضاء الفسيح والوديان الخضراء والبحيرات الرائعة الجمال. وقف ادوارد الى جانبها وكأنه مهتم بردة فعلها قدر اهتمامه بجمال المشاهد الطبيعية. وقال لها:

«انه منظر رائع - اليس كذلك؟».

«غريب - اشعر برغبة في البكاء لجماله».

«افهمك».

وصمت قليلاً ثم وضع يده بتردد على كتفها ووقف ينتظر ردة

فعلها لكنها لم تشأ ان تصده وسمعتة يقول لها:

«نحن الاثنين نفكر بالطريقة ذاتها يا سامنتا».

«لست متأكدة من ذلك».

بدأت تتساءل عن سبب تسارع خفقان قلبها، لربما كانت الطبيعة

الغناء من حولها او محاولة رفيقها المفصوحة للتقرب منها او الاثنان

معاً وسمعتة يقول لها:

«لكننا حقاً نتفق - آه لو كانت باتسي ترى الاشياء كما اراها انا

ولكن...».

رفع كتفيه ثم اضاف:

«وهل يحب بارني هذا النوع من الاشياء».

«آه نعم - انه يحبها كثيراً».

«آه فهمت».

كان واضحاً انه لم يتوقع هذا الجواب فالتزم بالصمت مجدداً وتفاذى النظر اليها حين تكلم قائلاً:

«لم تمانعي في ذهاب باتسي برفقته؟».

التفتت سامنتا نحوه متعجبة وسألته:

«هل مانعت انت؟».

صمت لبرهة ثم رفع كتفيه واعترف قائلاً:

«لست ادري ويحال الي احياناً انه من الخطأ ان نستمر في

علاقتنا».

«وهل تتجادلان كثيراً».

«لا تتجادل بكل معنى الكلمة. لست بارعاً في فن المناقشة

فتملئ مني باتسي وادعها تفعل ما تشاء».

«آه فهمت».

عادت الى نزول سفح التلة الى ان وصلت الى اسفلها تقريباً ولم

تعد الطريق وعرة لكنها تحولت الى درب ضيق من الحصى فتقدم

ادوارد الى الامام وامسك بيديها الاثنتين يساعدها على العبور.

انزلت قدمها وكادت ان تهوي الى الأرض فتمسكت بقوة بادوارد

الذي سارع الى ضمها بين ذراعيه متفادياً وقوعها وتراءى لها وجهه

القريب من وجهها فيما سمعته يعتذر لها قائلاً:

«اني آسف».

نظر اليها للحظة وانتبهت للمرة الأولى الى عينيهِ الرماديتين وقد

فاضتا نعومة والى وسامته برغم ايجاء ثغره وذقنه ببعض ضعف

الشخصية. وادركت انه كان ينبغي عليها الا تطيل فترة بقائها بين

ذراعيه لكنها كانت مسترسلة في تساؤلها حول طبيعة علاقته بباتسي

فصدمت حين ضيق قبضة ذراعيه حولها وعانقها.

«ادوارد يا سيد وارن!».

دفعته بعيداً عنها ولم يبد اية مقاومة وادركت انه يفكر حتماً بباتسي في هذه اللحظة.

«اني آسف، اني شديد الأسف».

بدا في منتهى التعاسة والارتباك فشعرت انها عاجزة عن تأنيبه

حتى ولو ارادت ذلك وادركت ان وضعها معه ليس اسوأ من وضع

باتسي مع بارني وان بارني لن يتوانى حتماً عن استغلال فرصة مماثلة ان

سحنت له فقالت لادوارد:

«ليس الأمر بتلك الأهمية. لكنني كنت أفضل الا تفعل ما

فعلت».

«أرجو ألا تخبري بارني اذن».

فوجئت بكلامه. فلو توصل اليها الا تخبر باتسي لكانت تفهمته

لكن بارني؟ لماذا بارني؟ وسألته:

«بارني؟».

اوماً ايجاباً ثم اخفض نظره وراح يحديق في قدميه وقال معترفاً:

«اعتقد انه لو عرف لضربني ضرباً مبرماً».

وكادت سامنتا ان تنفجر ضحكاً لكنها تماسكت وقالت:

«لا داعي للقلق من هذه الناحية. لكنني لن اخبره في اي حال».

«شكراً».

عاودها شعور الشفقة حيال ادوارد فابتسمت ومدت يدها نحوه

وقالت:

«هيا بنا».

استقبلها بارني بحفاوة لدى وصولها الى الفندق وعبر عن دهشة

لانتعاش سامنتا. اما باتسي فقد بدت مستاءة بعض الشيء وكان

الأمور لم تجر وفقاً لتمنياتها. سرت سامنتا لكون بارني خيب آمال

باتسي وابتسمت حين فكرت مجدداً بمحاولة ادوارد لمعانقتها وكأنه من سخرية القدر ان يتصرف ادوارد باقدام وجراة اكثر من بارني في هذه الظروف.

شعرت بتعب شديد من جراء السير فصعدت الى غرفتها ترتاح ساعة قبل العشاء. تمددت على السرير المريح وراحت تنعم بجو غرفتها المنعش ويمتظر التلال البعيدة والسماء الزرقاء فوق قممها. لفتت انتباهها اصوات صادرة من الباحة تحتها وتعرفت الى صوتي بارني وباتسي وقررت انه يحق لها التنصت لمحدثتها خاصة ان ادوارد ليس معها فاصغت جيداً وسمعت باتسي تقول:

«طلبت من ادوارد ان يحضر سيارة تاكسي هذا الصباح وذهبنا الى مدينة بنغار واشترت فستاناً جديداً. سوف تظن اني لا املك سوى فستان واحد ان ارتديت اليوم ايضاً فستاني الأصفر لكن من الصعب حمل ثياب كثيرة اثناء السير اما فستاني الجديد فهو رائع ويلفت الانظار. اينما كنت لم اتوقع ابداً ان اجده في مدينة كبنغار». علت ضحكة بارني فعضت سامنتا على شفتها حين سمعتها من دون ان تعرف السبب وسمعت يقول لباتسي:

«آه - لكن اهل اسكتلندا يعيشون في القرن العشرين ايضاً». ضحكت باتسي وقالت:

«اظن انك على حق - لكن يخيّل الي دائماً انهم مختلفون عنا بمئتي سنة على الأقل».

صمتت لبرهة ثم قالت:

«بارني، سوف تطلب ان تخصص لنا طاولة لأربعة اشخاص اليس كذلك؟ اعرف ان ادوارد لن يحرك اصبعاً حيال الأمر هذا».

اصغت سامنتا بانتباه كبير فهي معنية بالقضية هذه ويحق لها كل الحق ان تعرف رأي بارني في الموضوع وسمعت يقول:

«سأكلم صاحب الفندق - لكن لا اعرف ان كان يناسبهم هذا الشيء. لا يمكننا قلب الامور رأساً على عقب ونحن لن نبقي في الفندق سوى ايام معدودة».

شعرت سامنتا بارتياح كبير لجوابه وسمعت باتسي تلح.

«لكنك ستحاول؟».

«سأحاول».

ساد الصمت بينهما لبرهة وتبعه همس وضحك فانقبضت يدا سامنتا بقوة وراحت تحرق بالسقف وتفكر بالأنسة باتسي التي بدأت تستعد للانتقضاض النهائي على بارني وتساءلت سامنتا عن خطوة عزيمتها المقبلة فالله وحده يعلم ما تحضره بعد الفستان الجديد والاصرار على الطاولة المشتركة.

اغتسلت سامنتا بتأن ثم فتحت خزانة الثياب لتختار فستاناً. وقع نظرها لا شعورياً على فستان لم تكن قد ارتدته ابداً وشاءت الصدف ان يقع تحت يدها اثناء تحضيرها حقيبتها بسرعة فضمته الى ثيابها الأخرى.

ترددت عدة دقائق قبل ان ترتديه وتنظر الى صورتها في المرآة وتقطب حاجبيها. كان حتماً يلفت الانظار بلونه الأحمر الفاقع ويقماشه الرفيع الذي يلتصق بجسمها ويبرز كل خط من خطوطه وله قبة منخفضة جداً ويرفرف بحرية حول قامتها النحيلة. وادركت ان منظرها فيه ويشعرها الذهبي الأحمر ملفت للانظار ولا يخلو من بعض الاثارة وهو يضاهي كل ما تستطيع ان تلبسه باتسي غوردن.

وضعت المساحيق على وجهها بدقة وزادت من احمر الشفاه وتمنت لو احضرت معها احمر الشفاه الفاقع كي يتماشى مع الفستان وراحت تتأمل صورتها النهائية في المرآة.

سمعت وقع خطى في الممر وظنت ان باتسي عادت الى غرفتها

لتحضير نفسها وارتداء الثوب الذي تطمح ان يكسب لها قلب بارني لكنها فوجئت بقرع على بابها وسمعت بارني يقول لها :
«هل يمكنني الدخول؟».

انتابها ذعر شديد لادراكها ان بارني سوف يراها بهذا الفستان الذي لن يعجبه حتماً عليها برغم ادراكها انه قد يسحر به لو ارتدته شقراء غيرها.

قرع الباب مجدداً ظناً منه انها نائمة ثم فتح الباب ودخل الغرفة ووقف مشدوهاً حين رآها. حلق بها لبرهة ثم ما لبثت عيناه ان ابتسمتا وتقدم نحوها بعد ان اقفل الباب وسألها بصوت هادئ :
«ماذا يفترض ان يكون هذا؟».

«هذا فستان».

واستدارت على ذاتها دورتين فرفرفت التنورة حول قامتها ثم قالت :

«ارتديه لتناول العشاء».

«فهمت . لكنك لن تتناولي العشاء بهذا الفستان يا حبيبتي فهو مناف للاخلاق».

«انه ...».

«لا يهمني ما هو . فهو لا يناسب مكاناً كمطعم الفندق ويمكنك ان تخلعيه حالاً».

«يمكنني ذلك لكن لا انوي تبديله وسأنزل به».

«لا - ليس في هذا الفندق . فالمقهى يرتاده الصيادون ولسنا في مقهى «الليدو» في باريس - ارتدي ثوباً اقل اثاراً».

رمته بنظرة متسائلة وكأنها البراءة بعينها وادركت في الوقت ذاته انها بدأت تستمتع بالموقف وسألته :
«هل اثيرك؟».

ضحك بنعومة وقال لها بصوت منخفض ارتعشت له :
«انت تعلمين جيداً انك تثيرينني لكني افكر بهذا العجوز الذي يجلس في زاوية المقهى والذي قد يصاب بنوبة قلبية ان رآك».

«سوف نعرف عن قريب لاني مصممة على ارتدائه».

«لن ترتديه وانت تعرفين ذلك».

«لن اخلعه فقط لأنك لا تحبه».

طاف نظره حول جسمها بحنان كبير ثم قال بصوت ناعم :
«آه - اني احبه انه ...».

وعبر بحركة من يديه عن اعجابه الصادق ثم ضحك وقال :
«لكنك لن تتناولي العشاء به».

«سأتناوله به يا بارني».

هز رأسه ببطء ثم سحب المفتاح من القفل بسرعة خاطفة قبل ان يتسنى لها منعه من ذلك وراح يمز المفتاح امام عينيها ثم سألها :
«الن تبدليه؟».

«كلا».

«حسناً . ستحرمين نفسك من عشاء شهي . سأحتجزك في الغرفة الى ان تغيري رأيك».

«لن تجرؤ على ذلك».

«سأنفذ كلامي وانت تعلمين بذلك ، لن ادعك تظهري وكأنك كليوباترا فتقفز عينا ادوارد وارن من محورها».

«لا فرق بينه وبينك ان كنت تميل الى باتسي غوردن في فستانها الجديد».

«آه - انت على علم بهذا الأمر ، لكن اطمئي فبعد ان شاهدتك في هذا الفستان لن يعجبني اي فستان آخر».

«سأرتديه ولن تستطيع منعي من ذلك».

طبعاً لا لكنني قادر على اجاعتك حتى تطيعي الأوامر. هذا اسلوب قديم وفعال جداً.

«نعم انه اسلوب استعمل في العصور الوسطى. سأصرخ ان احتجزتني هنا، اقسم لك اني سأصرخ».

«ان صرخت اضربك. اما الآن فاخلعي هذا الفستان والا حرمت نفسك من العشاء».

«انت وحش! وحش قاس ومعدوم الاحساس».

«معقول».

لقد عرفتك منذ ثماني عشرة سنة ولم المس طيلة هذه الفترة هذه الوحشية الفظيعة المختبئة وراء تهذيبك المستعار».

«ليس مستعاراً انما صادق».

«انت ظالم ومحتال».

«كالثعلب».

«آه...».

لم تجد الكلمات المناسبة للتعبير عن حنقها فقالت:

«لماذا توافق دائماً على كلامي؟».

«بسبب تهذيبي المستعار. لا حيلة لي».

وقفت في وسط الغرفة وشعرت بالجوع يقرص معدتها واحتارت

بين متابعة التحدي او الاستسلام فقالت:

«اني جائعة».

«اخلعي اذن هذا الفستان يا عزيزتي كي ننزل ونتناول العشاء».

«لن...».

رفع المفتاح وسألها:

«ماذا تفضلين؟».

«اني اكرهك - اني حقاً اكرهك».

وضع يديه على كتفيها وراح يداعبها بلطف ثم ضمها الى صدره وعانقها بنعومة وهمس لها:

«لا اصدقك!».

وشعرت سامنتا برغبة جامحة في البكاء لكنها سمعته يهمس في اذنها:

«انت اجهل بكثير في الفستان الأخضر».

٨ - الفرار الأخير

نخيم مسكون الليل على الفندق وباحته وراحت سامنتا تتأمل من نافذة غرفتها التلال السوداء البعيدة وضوء القمر البدر يتلألأ على صفحة مياه البحيرة.

نادراً ما كانت تعجز عن النوم لكنها شعرت كأن صوتاً اقلقها وحال دون عودتها الى الاحلام اضافة الى مشاكلها العديدة الأخرى. كان قد انتهى خلافها مع بارني باستسلامها كالعادة ووجدت نفسها طيلة السهرة امام فستان باتسي الأزرق الجديد الذي فاق فستانها اثارة بكثير.

كانت تشعر ايضاً برغبة قوية في العودة الى البيت والحياة الطبيعية برغم انكارها ذلك امام بارني، وقد فكرت ملياً في المسألة وخطر ببالها ان تخبر العم نيكولاس قبل ان تخبر بارني وان توضح له انها مستعدة وراغبة حتى في العودة شرط ان يلغى الزواج والا يضغط احد عليها لثنيها عن قرارها. وكانت تدرك انها ستخيب امه وأمل العم روبرت لكن المسألة المطروحة تتعلق بحياتها ويحق لها التصرف بها كما تشاء. وربما تزوجت يوماً لكنها ترفض الفكرة رفضاً قاطعاً حالياً، وان تزوجت فلن يكون من بارني. اعتبرت سامنتا ان خطتها معقولة جداً وقد يتقبلها العم نيكولاس ويقف الى جانبها.

حاولت العودة الى النوم بعد ان اعتبرت انها توصلت الى ايجاد حل

للمسألة لكنها لم تغلح بل رقدت على السرير الواسع تحديق في جدران الغرفة المضاءة بنور القمر ثم نهضت وتوجهت نحو النافذة حيث راحت تتأمل النجوم الساطعة في السماء.

نظرت الى غرفة بارني في الجهة المقابلة للباحة وابتسمت تلقائياً حين تذكرت وصفه لها بالاصطبل واستيائه من اختيارها له. كانت هناك احداث كثيرة عاشتها مع بارني تدعوها الى الابتسام. وعادت بذاكرتها الى كل تلك الاوقات الطيبة التي امضتها برفقته منذ ان كانت طفلة وكانت تعتبره بطلاً صنديداً لكونه اكبر منها سناً وثقة بنفسه.

لفتت نظرها فجأة حركة في الباحة وكأنها ظل ابيض سطع في دكنة الليل وما لبثت ان ادركت ان الظل هو ظل انسان يسير. ولم تجد صعوبة في التعرف على شعر باتسي غوردن الأشقر الطويل وقامتها الممتلئة وقد لفت جسمها بثوب رقيق وفاتح اللون اصفى عليها شكل الاشباح.

وقفت سامنتا تراقبها لبرهة فيما تهافتت التخمينات على ذهنها وتسارعت خفقات قلبها. عبرت الفتاة الشقراء الباحة بخفة وحذر وتوارت عند باب الفندق الخلفي تحت نافذة سامنتا بالضبط.

شعرت سامنتا بيديها تنقبضان بشدة على حافة النافذة وبالدم يتدفق غزيراً الى رأسها فيما وقفت جامدة وقد صعقها ما رآته. فالمكان الوحيد الذي يمكن ان تكون باتسي آتية منه هو المبنى حيث غرفة بارني فلا ابنية اخرى في الباحة سوى قبو قديم يستعمل لتخزين المؤونة ومن الصعب جداً ان تكون باتسي قد قامت بزيارته في مثل هذا الوقت.

نظرت سامنتا الى ساعة يدها وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ثم استدارت واتجهت نحو السرير بخطى ثقيلة وارتعت عليه

منهارة. كثيراً ما كانت تتهم باري باقامته علاقات مع نساء اخريات لكنها لأول مرة اليوم لمست صحة اتهاماتها وقد ولدت لديها مرارة غريبة بعيدة كل البعد عن الشعور بالظفر الذي كانت تتوقعه.

خيل اليها سماع اصوات خافتة في الممر وادركت ان باتسي غوردن عادت الى غرفتها. تصورتها تدخل غرفتها من دون ان يكتشف احد امرها ولربما كانت سعيدة بما انجزته فلم تستطع سامنتا تحمل هذه الصورة، فنهضت بسرعة وتوجهت نحو باب غرفتها بعزم رغم انها كانت تجهل ما تريد عمله.

كانت تعرف شيئاً واحداً وهو انها لن تدع باتسي غوردن تفكر ان احداً لم يكتشف نزعتها الليلية هذه ففتحت باب غرفتها مصممة على مواجهتها واخبارها انها رأتها خارجة من عند باري.

اثناء فتحها لباب غرفتها سمعت صوت باب يقفل فوقفت في الممر وقلبي يخفق بسرعة جنونية ويدها ترتجفان بقوة. كانت تعرف ان باتسي وادوارد يشغلان الغرفتين رقم اثنين وثلاثة. وراحت تقلب الرقمين في ذهنها حائرة تتساءل عن رقم غرفة باتسي الى ان رأت شعاعاً طفيفاً من النور تحت باب الغرفة رقم ثلاثة فتشجعت وفتحت الباب على مصراعيه ودخلت الغرفة.

ما كادت تخطو خطوتين حتى وقفت مصعوقة. كان ادوارد وارن متمدداً على السرير ويهم باطفاء نور الكهرباء حين فوجيء بزاثرته تدخل الغرفة.

وبعد لحظات عدة من الجمود المتبادل استدار ادوارد ليواجهها والدهشة لا تزال تفيض في وجهه ثم سمعته يقول بصوت غلب النعاس عليه:

«سامنتا... سامنتا».

هزت سامنتا رأسها مبعثرة شعرها الذهبي على وجهها وهمست:

«لم... لم ادرك. ظننت ان هذه...».

«هل انت بخير؟ خُيل لي سماع صوت في الخارج».

اومات ايجاباً وبلعت ريقها بصعوبة وشعرت انها على وشك الاختناق لكنها استطاعت ان تقول:

«نعم انا بخير - اني آسفة - اني آسفة جداً».

حلق بها لبرهة ثم نهض من السرير وقال لها بصوت خافت:

«تبدين وكأنك خارجة من صدمة. هل انت من اولئك الذين

يشنون اثناء النوم؟».

«كلا - لا ابداً».

تراجعت الى الوراء حين تقدم نحوها فقطب حاجبيه متسائلاً لكنها تابعت:

«ظننت ان هذه... دخلت الغرفة خطأ - اني آسفة».

«اخطأت بالغرفة؟».

وقف يتفحصها وكأنه لم يصدق بعد ما يجري امامه.

«كنت ابحث عن...».

وادركت فجأة انه سوف يصاب بصدمة عنيفة ان اخبرته ان خطيئته كانت تزور رجلاً بعد منتصف الليل فهزت رأسها بسرعة وقالت:

«ليس الأمر مهماً. اني آسفة».

وادركت سامنتا انه غير راغب في ترك الأمور على نصابها اذ تقدم نحوها ووقف امامها وامسك ذراعها في حركة مطمئنة وقال:

«لا احب ان اراك مضطربة يا سامنتا. وانت الآن مضطربة لسبب

ما - الا يسعني مساعدتك؟»

«لا. لا - شكراً، انا بخير».

استدارت على نفسها كي تعود الى عزيمتها لكنه كان لا يزال يمسك
بذراعيها حين ظهر شخص ثالث واقفاً على عتبة الباب
المفتوح.

نظرت اليهما باتسي غوردن بعينين ساطعتين وظافرتين وابتسمت
ابتسامة ساخرة ثم قالت:

«يا للوضع الحميم. هل ازعجتكما؟».

كان من الصعب تحديد اي من سامنتا ام ادوارد ذهل لرؤيتها
اكثر من الثاني لأن سامنتا لم تتوقع ابداً ان تجابها في ظروف كهذه
فافلتت بسرعة من يدي ادوارد وقالت:

«حصل خطأ».

قهقهت باتسي ثم قالت:

«طبعاً حصل خطأ».

«كنت اجهل ان هذه غرفة اد... عفواً غرفة السيد وارن. لم

انتبه».

قرصت باتسي شفتها السفلى بازدياء وسطعت عيناها غضباً
وادركت سامنتا انه من الطبيعي ان تحاول باتسي رمي عصافيرين
بحجر واحد.

«هذه حيلة قديمة. الا يمكنك ايجاد تبرير اخر؟».

«انها الحقيقة».

تمنت سامنتا في هذه اللحظة لو لم تنهض في اتخاذ قرارها بمجابهة
باتسي واتهامها بزيارة بارني فهي الآن في وضع المتصر وقد يصعب
على اي كان تصديق اتهاماتها لباتسي الآن.

«هلا قلت لي غرفة من كنت قاصدة؟».

ترددت سامنتا للحظة ثم قالت:

«غرفتك انت».

جدت باتسي في مكانها وادركت سامنتا ان ادوارد كان يحدق فيها
بدهشة وسمعته يقول لها:

«يا لله ماذا تريدان من باتسي في مثل هذا الوقت؟».

قطبت باتسي حاجبيها وكأنها تستعد للانقضاض دفاعاً عن نفسها
ثم قالت:

«هذا ما اود معرفته ايضاً».

لم يكن في نية سامنتا ان تثير خلافاً حاداً بينها واحترار بين البوح
بما رآته والتزام الصمت - ادركت ان باتسي غير مكترثة كثيراً
باحتمال انكشاف امرها فهي على عكس سامنتا لم يقبض عليها
بالجرم المشهود ومن السهل عليها الادعاء ان اتهم سامنتا لها نايغ عن
محاولة لابعاد الشبهات عنها فقالت سامنتا:

«اردت مقابلتك، لا غير».

«كي نتحدث بقلب مفتوح؟».

اثارت سخرتها غضب سامنتا من جديد فقالت:

«اظن انك تعرفين السبب».

«بدت باتسي وكأنها فهمت اخيراً خطورة موقفها فرفعت كتفيها
وادعت التعب الشديد ثم قالت:

«الوقت متأخر جداً الآن ولا يلائم خوض نقاش طويل. اني

ذاهبة الى الفراش ونصيحتي لك ان تفعلي مثلي قبل ان نوقظ نزلاء
الفندق جميعهم».

حدقت بها سامنتا للحظة وهي تشعر برغبة جامحة في اخبار باتسي
انها رأتها، لكنها عجزت عن ايجاد الكلمات المناسبة فاستدارت فجأة
وعادت الى غرفتها ثم اقفلت الباب من دون ان تنظر اليها كان يودها
ان تعتذر مرة اخرى لادوارد وارن لكنها لم تعد تتحمل مواجهتها مدة
اطول وشعرت برغبة جامحة في البكاء.

استندت ظهرها الى الباب وبدأت الدموع تنهمر على خديها وادركت ان سبب الدموع لم يكن مقتصرأ على اهانة باتسي لها حين فاجأتها في غرفة خطيبها بل شمل تلك الصورة المؤلمة لباتسي عائدة من غرفة بارني. شعرت وكأن بارني خانها فارتمت على السرير وأجهشت في البكاء كطفلة صغيرة.

افاقت سامنتا في الصباح التالي وقد أثقلت الدموع جفניה وآلمها صداع في رأسها لكنها شعرت بتحسن طفيف بعد ان استحمت فارتدت ثيابها وقررت النزول لتناول الافطار.

فوجئت مفاجأة مزعجة حين رأت ادوارد وباتسي وقد جلسا الى طاولة تتسع لاربعة اشخاص واستتجت ان بارني لى رغبة باتسي بشأن الطاولة. حاولت جهداً للتظاهر بعدم الاكتراث لكنه صعب عليها تحمل ابتسامة الرضى التي علت ثغر الفتاة الشقراء وخاصة بعد احداث الليلة الماضية.

نهض ادوارد عن كرسیه حين وصلت، فيما بقيت باتسي جالسة ونظرت اليها مبتسمة ثم قالت بتهكم: «هذا تغيير نحو الأفضل».

قطب ادوارد حاجبيه لبرودة استقبال خطيبته لسامنتا وقال: «ارجو الا يكون لديك مانع يا سامنتا».

اكتفت سامنتا برفع كتفها وادركت ان لا اهمية لممانعتها او عدمها لكون باتسي ستعتبر ممانعتها من باب الغيرة لا غير فتسر بها. لم يكن هناك اثر لبارني بعد وتساءلت سامنتا عما اذا كان تعمد التأخر كي يتجنب التبرير لها عن مطالبة بتغيير ترتيب الطاولة وقالت: «لا فارق عندي».

ثم رمقت ساعة يدها وقالت:

«تأخر بارني».

قهقهت باتسي وحدثت في سامنتا بعينيها الزرقاوين ثم قالت:

«لربما اقلقه شيء ما وهو يحاول تعويض ما خسره في النوم».

كان كلامها موجهاً لسامنتا فقط وشعرت بموجة من الغضب تعترها وقد ازعجها قلة اكتراث الفتاة باحتمال افشائها لسرها وادركت سامنتا ان امامها نهراً قاسياً ورفضت تناول الافطار مكتفية ببعض القهوة:

«لا اريد سوى بعض القهوة. لست جائعة؟».

«هل انت مريضة؟».

«لا ابدأ. انا بخير يا ادوارد. شكراً».

وقالت لها باتسي بصوت معسول:

«اظنك تعانين من عوارض ما بعد الصدمة، فيا لها من صدمة حين يفاجأ المرء اثناء سيره خلال النوم».

«انا مصابة بصداع. اظن انه سيزول متى تشقت هواء منعشاً».

«اثناء السير؟».

«ربما».

شربت فنجانين من القهوة القوية ثم جلست تفكر انه عليها اتخاذ قرار بشأن باتسي غوردن. لن يجديها نفعاً ان تخوض خلافاً معلناً بل يكفيها ان تقطع شعرة معاوية بينها وبين بارني فتكون قد انتقمت لنفسها - لن يسر حتماً لتركها له مجدداً لكنه سوف يدرك ان باتسي هي سبب رحيلها ولن يعود متلهفاً لكسب ودها او ربما فعل ذلك.

صعدت الى غرفتها قبل مجيء بارني وتكهنت ان باتسي سوف تبقى في انتظار وصوله غير مكترثة برأي ادوارد في الموضوع، ولربما

حالفها الحظ ونجحت في تنفيذ خطتها فجلست في غرفتها تنتظر سماع صوت الباب المقابل يفتح ثم يقفل.

وكما توقعت وبعد مرور عشر دقائق سمعت وقع خطي في الممر ثم صوت باب الغرفة رقم ثلاثة يفتح. فخرجت بسرعة من غرفتها ورأت ادوارد على وشك اقفال باب غرفته فابتسمت له وقالت:

«هل تسمح لي بمحادثتك لبضع دقائق يا ادوارد».

تردد لبرهة ثم اوماً ايجاباً وخرج الى الممر مجدداً وقال:

«طبعاً. ما الخبر يا سامنتا؟ هل يمكنني مساعدتك؟».

«بإمكانك مساعدتي ان اردت ذلك».

«طبعاً».

تقدم نحوها ووقف امامها ثم تردد قليلاً قبل ان يأخذ يديها بين يديه ويقول:

«كنت متأكداً ليلة البارحة انك لست على ما يرام. وعرفت اليوم انك بكيت - اريد مساعدتك يا سامنتا. ارجوك. قولي لي ما يمكنني ان افعل».

ابتسمت سامنتا ثم قالت:

«اود ان تساعدني على الهرب من دون ان يدري بي احد».

نظر اليها ادوارد بتعجب ثم قال:

«الهرب. لا افهمك جيداً يا سامنتا».

«آه!».

اخفضت عينيها باتجاه يديها المتشابكتين وشعرت ببعض الذنب لاستغلالها طبيئته واستعداده لمساعدتها برغم تأكدها من ان باتسي لن تحب أن يساعدها.

«اريد مغادرة هذا المكان. هذا كل ما في الامر».

«لكن. بارني».

«اود الابتعاد عن بارني بالذات. لا اريده ان يعرف اني ذاهبة يا

ادوارد ولهذا السبب طلبت مساعدتك. هل تقبل؟».

بدا متردداً وحتى انها لمست بعض الخوف فيه واستغربت ان يكون

بارني يخيفه. وعادت الى ذاكرتها لحظة توصل منها الا تخبر بارني انه

عانقها وهي الآن تطالبه بالكثير لكنها شعرت انها لم تعد تتحمل

الوضع بين بارني وباتسي فقالت له بصوت متوسل.

«ارجوك يا ادوارد».

«حسناً - حسناً - لا افهم تماماً ما يدفعك الى الرحيل من دون

اخبار بارني لكنني سأساعدك ان امكن ذلك!».

«آه. طبعاً يمكنك مساعدتي. شكراً لك يا ادوارد. الف

شكر».

تناولت وقبلته على خذه مما زاد في اضطرابه فلمس خدها باصبعه

وقال:

«اخبريني الآن ماذا تودين ان افعل. واعدك اني سأفعل كل ما

بوسعي لمساعدتك».

«اطمئن فطلبي سهل التنفيذ. اظن ان بارني يتناول الافطار حالياً

اليس كذلك؟».

اوماً ايجاباً وقطب حاجبيه حين عادت الى ذهنه صورة المشهد

الذي عاشه لتوه في المطعم: «اصرت باتسي ان تبقى برفقة بارني

فتركتها».

ونظر اليها لبرهة وكأن من واجبه الاعتذار عن تصرفات باتسي ثم

قال:

«اظن انك تريدين الرحيل بسبب ما يجري بينهما».

اخفضت سامنتا عينيها وقالت:

«نوعاً ما».

«اني آسف جداً يا سامنتا. ادرك تماماً ما تشعرين لكن ارجوك الا تنهوري بسبب هذا الشيء. انا اعرف باتسي. واعرف ان المسألة لن تدوم».

«ظننت انا ايضاً اني اعرف بارني. ولكن... لكنني اريد الرحيل يا ادوارد. ارجوك».

بدا تعيساً اكثر من اي وقت مضى لكنه قال:

«انت بحاجة الى سيارة تاكسي. اتودين ان اطلب لك واحدة؟».

«ارجوك و... وهل بإمكانك ان تطلب من السائق الا يثير ضجة حين يصل لثلا يراه بارني؟».

«سأطلب منه ذلك برغم انني لا اعرف مدى استعدادك للتقيد بهذا الأمر».

«حاول في اي حال».

ابتسمت له من جديد ثم سألته:

«هل ترافقني الى المحطة يا ادوارد؟ اكون شاكرة لك الى الأبد ان اتيت».

«نعم - طبعاً سأرافقك».

«شكراً».

فكرت سامنتا ان تغيبه لبعض الوقت سوف يقلق حتماً باتسي.

نزل ادوارد لاجراء المخابرة فيما انتهت من تحضير حقيبتها وعاد بعد قليل فسلمته حقيبتها وسارت خلفه في الممر ثم نزلت الى الباحة وقلبي يخفق بسرعة جنونية. ادركت انه اذا كان بارني ما زال مصمماً على اقناعها بالزواج منه فسوف يلحق بها، اما اذا كان يشعر ان

توطيد علاقته بباتسي اهم بالنسبة اليه من زواجه منها فلن يكلف نفسه عندئذ عناء اللحاق بها. وشعرت بموجة من الذعر تحتاحها لاحتمال عدم لحاقه بها. وسمعت ادوارد يسألها حين وصلا الى المحطة:

«هل انت متأكدة من ان الأمور ستسير على ما يرام؟ لا احب فكرة رحيلك بمفردك يا سامنتا».

«لن يصيبني اي مكروه - لا تقلق».

وتساءلت عن سبب صرفه سائق التاكسي واصراره على العودة الى الفندق سيراً على الاقدام، قد يكون فكر ايضاً بازعاج باتسي لبعض الوقت خاصة ان بارني سيكتشف أولاً اختفاء سامنتا وحقيبتها فيطرح غياب ادوارد ايضاً تساؤلات عديدة قبل ان يكتشف ان حقيبتها لا تزال في غرفته - لكن الخطوات هذه سوف تستغرق بعض الوقت وقد تستغل باتسي هذا الوقت كي تدرك انه من الأفضل لها الا تفقد ادوارد وان تقلع عن تصرفاتها التافهة هذه خاصة ان بارني سيثور غضبه حين يكتشف هربها وسعبر عنه بطريقة او باخرى.

قطعت تذكرة سفر الى مدينة كارليل وقدّرت انه بوسعها التوجه منها الى منطقة البحيرات من جديد والبقاء فيها لبعض الوقت. كانت متأكدة ان لن يسهل على بارني اللحاق بها هذه المرة كونه لا يعلم وجهة سفرها ولن يستطيع موظف البطاقات العجوز في قرية بنفار ارشاده اليها لعدم ملاحظته لها بعكس الموظفين الشباب في المحطات الاخرى.

كان القطار يسير ببطء لكن المناظر الطبيعية المحيطة بها كانت رائعة الجمال فشعرت سامنتا برغبة بالارتخاء والاستمتاع بها ولم يكن في مقصورتها سوى امرأة عجوز غارقة في حياكة الصوف ورجل يقرأ كتاباً مما اراحها من عناء الخوض في احاديث السفر التقليدية.

احسنت برغبة في الهدوء والعودة الى نفسها للتفكير بخطوتها المقبلة. لربما تمكنت من مغامرة العم نيكولاس من مدينة كارليل واخبرته انها بخير وانها عادت الى انكلترا من جديد وانها تتوق الى العودة الى المنزل شرط الا يثار موضوع زواجها من بارني من جديد وادركت ان عليها اقناعه ان زواجها من بارني غير وارد قطعاً في الحاضر.

وفوجئت ثم ذهلت بدمعة ثقيلة تتدحرج على خدها ثم تبعتها ثانية وثالثة وكرت السبحة من دون ان تتمكن من السيطرة عليها. لم تكن في حياتها من النوع الذي يبكي بسهولة وها هي تجهش بالبكاء للمرة الثانية في اقل من اربع وعشرين ساعة.

تناولت منديلاً ومسحت دموعها ثم وضعت نظارات شمسية داكنة لتخفي تورم جفניה واحمرار عينيها عن المسافرين في مقصورتها.

تذكرت اثناء ترجلها من القطار في كارليل انها نسيت ان تدفع فاتورة الفندق وتصورت غضب بارني حين يكتشف ذلك اضافة الى غضبه لهربها ولم تستطع ان تتماسك عن الضحك.

خابرت العم نيكولاس من كشك هاتف وجدته امام المحطة وما لبثت ان سمعت هدير صوته المألوف في اذنها وقد ارتاح كثيراً حين سمع صوتها وقال:

«حبيبي سامنتا - آه يا حبيبي هلا توقفت عن اخافتنا بهذا الشكل».

«آسفة يا عزيزي. صراحة. لم يكن في نيتي ان اخيف احداً».

«خابرتي بارني لتوه. وقال لي انك عدت الى الحرب من جديد لماذا؟».

«الم تسأله السبب؟ فالمفروض ان يكون هو اول العالمين

بالسبب».

«طبعاً سألته وقال لي انه لا يعرف».

«يا له من...».

امسكت آلة الهاتف بقوة وشعرت برغبة جامحة في تحطيمها على رأس بارني المتعجرف لكنها سمعت نيكولاس يقول لها:

«هل يعني ذلك انكما اختلفتما من جديد».

«نعم من جديد».

«ولكن لماذا؟ ليس من عادتكما ان تختلفا. كنت في الماضي...».

«مرنة المزاج؟ اهذا ما تريد قوله. حسناً لكنني اعلمك اني لم اعد كذلك».

«يبدو لي انك تتصرفين بعناد وتهور واتساءل صراحة كيف استطاع بارني تحملك طيلة هذه الفترة من دون ان ينفد صبره».

«لقد نفد صبره مرات عديدة».

«لا عجب».

«آه يا عمي نيكولاس. لا تتحيز لبارني. اريد حقاً العودة الى البيت لكن... لكن لا اريد الزواج من بارني».

«ولكن لماذا يا حبيبي؟».

«لاني... آه لاني لا احب ان تفرض علي الأمور. ارجوك ان تفهمني يا عمي نيكولاس».

«اني احاول فهمك يا حبيبي. لكنك تعرفين بارني لمدة طويلة الآن وتعلمين حتماً حقيقة شعورك نحوه».

«هنا المشكلة يا عمي فاني لا اعرف. ومعرفتي به طيلة هذا الوقت لم تتح لي التعرف على اي رجل غيره. كل شيء كان مبرمجاً في حياتي حتى الآن وشعرت برغبة في التحليق بجناحي لبعض الوقت والتطلع

حولي كي اتحقق ان كان هناك احد افضله على بارني». «سامنتا».

«ولم لا يا عمي... لم لا؟».

«تقصدين رجالاً كبيل سميث او الفنان بيتر مجهول باقي الهوية او هاوي السير على الاقدام».

شعرت بغضب شديد نحوه وكأنه يتهمها باقامة علاقات وثيقة مع كل من اولئك الرجال ولا بد ان يكون بارني هو الذي اعطاه هذا الانطباع المشوه عن الواقع.

«كان يجدر بي ان اعرف ان بارني قادر على اختلاق قصص وتعظيمها حسب مزاجه».

«لم يخلق اية قصة في الحقيقة».

«وما تسمي اذن تلك الاخبار التي ابلغك اياها؟ ولماذا لم يخبرك عن قوافل الفتيات الشقراوات اللواتي تركناهن جاثيات في كل انحاء البلاد او عن الأنسة باتسي غوردن التي امضت جزءاً من الليلة الماضية في غرفته؟».

«سامنتا».

«آه... كنت متأكدة انه لن يخبرك عن هذا التفصيل الصغير».

«يا حبيبي، انت حتماً على خطأ فبارني يحبك».

«يا لغرابة اسلوبه في التعبير عن هذا الحب».

وذهلّت بالدموع تعود الى الانهماك على خديها لكنها تابعت قائلة: «انه يكره فكرة افلاتي من بين يديه فلقد تعود اعتباري ملكاً له ويتوقع ان أنفذ طلباته وكأنني كلب صغير مدرب على الطاعة وذلك بغض النظر عن نشاطاته ومغامراته العاطفية. اني ارفض قضاء بقية حياتي مكتفية بالطاعة اوامره فيما يواصل نشاطاته النسائية مع كل فتاة

شقراء يصادفها».

«آه يا حبيبي انت حقاً مضطربة».

ادركت انه قلق عليها وتمنت لو كانت في البيت برفقته واستطاعت البكاء على كتفه الحنونة لكنها الآن في كشك حديدي في كارليل ومعرضة للانهيار بين اللحظة والاخرى.

«انا بخير. انا حقاً بخير يا عمي نيكولاس لا تقلق. كل ما في الأمر اني غاضبة».

«غاضبة من بارني».

«طبعاً من بارني الا يحق لي ان اغضب منه».

تنهد بعمق ثم قال:

«لا ادري ما اقول لك يا حبيبي. هل ستعودين الى البيت؟».

قاومت الاغراء المعروض عليها بكل قواها وهزت رأسها وكأنه يستطيع ان يراها:

«كلا - ليس الآن يا عمي، اني افكر في الذهاب الى البحيرات

من جديد وامضي فيها يوماً او يومين حتى تبلور الأمور في ذهني فهي منطقة رائعة وهادئة».

«اليس استكلندا ايضاً منطقة رائعة وهادئة؟».

«لا هدوء حيث بارني وباتسي غوردن. سأكون بخير يا عمي

نيكولاس لا تقلق بشأن ارجوك».

تنهد بعمق وكأنه رضخ للأمر الواقع ثم قال:

«حسناً يا حبيبي لكن ارجوك الا تنسي ان تتصلي بي بين الحين

والآخر، اذ يقلقني ان تسافري بمفردك ومن دون بارني».

«سأصل بك. اخبرك لحظة وصولي الى بونس. اعدك بذلك يا

عمي نيكولاس».

«حسناً. وحاولي يا حبيبي ان تعودتي قريباً لقد اشتقنا اليك

كثيراً.

اكتفت سامنتا بالتفوه بكلمة «وداعاً». اذ كانت الدموع الساخنة عادت الى الانهمار وشعرت وكأن كتلة تسد حلقها. وتمنت لو كان بوسعها التخلص من تعاستها الحالية ومن تلك الفكرة التي ما لبثت ترافقها، ان بارني سيلحق بها من جديد.

٩ - فندق سعيد الحظ

تمكنت سامنتا من الحصول على غرفة في فندق ستاغ في قرية بونس. وقد دفعها حنين قوي الى الماضي لاختيار الغرفة ذاتها التي نزلت فيها على طريق الذهاب الى اسكتلندا.

خرجت من الفندق في الصباح التالي لتزده على ضفاف البحيرة. كان الجو هادئاً ومنعشاً تحت الاشجار الظليلة ولا احد يزعجها او يتجادل معها لكنها بدأت تتوق الى من تتكلم معه.

اغاضتها الدموع التي عادت الى التجمع في عينيها من دون سبب فمسحتها بسرعة وعادت الى ذاكرتها ما كانت تكرره دائماً لبارني ان الدموع للاطفال والاولاد وهي لم تعد اباً منها. بارني! ها قد عادت الى التفكير به وادركت انها لم تفكر به في حياتها بالقوة والاستمرارية كما هي هذه الايام.

وبارني سعيد حتماً الآن حيث هو ويستغل فرصة وجود باتسي غوردن معه وميلها الواضح نحوه خاصة ان ادوارد سيكتفي على الأرجح بدور المشاهد ولن يتدخل بينها ابداً.

ترأت لها من جديد صورة باتسي وهي تتسلل عائدة من غرفة بارني فازدادت غزارة الدموع في عينيها حتى انها حجبت عنها الرؤية كلياً.

امضت الليلة الفاتئة تراقب المسافرين الجدد وتنتظر ظهور رأس

بارني الداكن المألوف، وحتى انها حين صعدت الى الفراش بقيت مدة طويلة تنصت الى الاصوات في الممر لعلها تسمع صوته العميق والمطمئن او قرعاً على بابها لكن دون جدوى.

كانت قد تناولت العشاء في الليلة الماضية برفقة سيدة متقدمة في السن لم تحاول فتح احاديث معها لادراكها ان سامنتا تفضل الوحدة. كلمتها قليلاً حول مائدة الافطار ولاحظت سامنتا انها سيدة لطيفة جداً وتشعر ببعض الوحدة. راحت تفكر اثناء سيرها انه لربما ارتاحت قليلاً ان وجدت شخصاً تستطيع التحدث اليه عن مواضيع عامة فنسى بارني قليلاً اذ ادركت انه تحول الى هاجس لا يفارقها لحظة.

سمعت وقع خطى على الاوراق الجافة فالتفتت وابتسمت لا شعورياً حين رأت السيدة العجوز تتقدم نحوها وتجلس الى جانبها بالقرب من ضفة البحيرة.

«هذا المكان رائع الجمال. الا توافقين؟».

اومات سامنتا ايجاباً وقالت:

«انه ساحر».

«انا اقصده منذ اكثر من ثلاثين عاماً ولم اسام منه بعد فهو يبدو لي مختلفاً في كل مرة».

ثم ضحكت معذرة وقالت:

«لربما ظننت اني اناقض نفسي لكنني متأكدة من انك فهمت قصدي».

«طبعاً. يشعر المرء انه مهما تغير الناس الوافدون الى هذا المكان، الا انه يبقى وسيبقى حتى بعد ان نزول نحن».

ابتسمت المرأة بلطف وقالت:

«هذه ملاحظة يا عزيزتي صحيحة ايضاً. هل تعلمين اني اتيت

للمرة الأولى الى هنا منذ ستة وثلاثين عاماً وامضيت شهر العسل فيه واني اعود اليه كل عام».

غصت عينا سامنتا بالدموع لسماعها قصة هذا الحبح العاطفي وتساءلت عن مدة ترمل المرأة اذ كان من الواضح انها فقدت زوجها والا لما كانت الآن بمفردها وحاولت سامنتا ان تسألها:

«هل؟ كيف...؟».

وفهمت المرأة قصدها فابتسمت قائلة:

«عشنا سوية ثلاثة وثلاثين عاماً في الهناء وكنا نأتي أنا وزوجي شارلز كل سنة في عيد زواجنا وحين توفي، رحمه الله، منذ عامين شعرت انه علي الاستمرار في القدوم تخليداً لذكراه».

ثم ابتسمت معذرة وقالت:

«قد ابدوك غريبة الأطوار خاصة أنك شابة في اول حياتك - اليس كذلك؟».

«لا ابدأ بل ان قصتك رائعة الجمال، رائعة الجمال».

«هل انت بمفردك ايضاً؟».

«نعم».

مدت يداً رقيقة وامسكت يدها بلطف وتفهم ثم قالت:

«اني آسفة يا عزيزتي لا يحق لي التطفل. لكنك في عز الشباب وجمالك اخاذ فاستغربت كونك تسافرين بمفردك واعترف لك اني فضولية لمعرفة وضعك».

«لا امانع في ذلك ابدأ».

ابتسمت المرأة وقالت:

«اسمي استر كولنز، اظن اننا لم نتعارف بعد».

«سامنتا داووليش».

ابتسمت ثم التفتت نحو المرأة فلاحظت نظرة تعجب في عيني

استر كولنيز التي صاحت:

«لكن يا عزيزتي - يا للصدف - الا تسكنين في قرية ليتل دبستوك في مقاطعة ساري».

«نعم. انت على حق ولكن بالله كيف...؟».

«لانه سبق ان التقينا. لكن لا اظن ابداً انك تذكرين ذلك كنت في التاسعة او العاشرة من العمر وقتذاك».

«صحيح».

تفحصتها سامنتا لبرهة من غير ان تجد في ملاحظها اي شيء مألوف واعترفت:

«لا اذكرك ابداً. اني آسفة».

«ولم تأسفين؟ كنت طفلة يوماً. كنت فتاة صغيرة وجميلة جداً».

ابتسمت سامنتا وقالت:

«يسرني سماع هذا. هل كنت تعرفين عمي يا سيدة كولنز؟».

«ليس معرفة شخصية. لكن شقيقي كان يعرفه وزوجي شارلز ايضاً من خلال علاقات العمل. لقد تقاعد اخي حالياً وهو يكبر عمك سنناً لكنني متأكدة من انه سيتذكرك ان اخبرته عنك. ان ذاكرتي قوية جداً ونادراً ما انسى شخصاً قابلته. كان عمك اسمه نورمان».

«صحيح، عمي نيكولاس هو الوصي علي منذ ان كنت في الثالثة من عمري».

«اذكر ذلك لكنك لم تكوني برفقته ذلك اليوم في بيت اخي بل كنت مع روبرت فوستر وابنه».

«بارني».

تفوهت سامنتا باسمه وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية وبدا وكأن القدر لن يسمح لها ان تتناساه ولو للحظة.

«صحيح، اذكر اننا التقينا به من جديد مرة او اثنتين، كان آخر

لقاء بيننا بضعة اشهر قبل وفاة شارلز واخبرنا يومها انه...».

اخفضت عينها بسرعة تبحث عن خاتم الخطوبة في اصبع سامنتا ولاحظت غيابه وفهمت.

وادركت سامنتا انها فهمت فقالت لها:

«كنا مخطوبين».

«صحيح - اخبرنا بهذا».

ايقنت سامنتا ان السيدة متلهفة لسماع بقية قصتها مع بارني لكن رقة احساسها منعته من السؤال فقالت لها:

«الأمور معقدة قليلاً الآن. اظن اننا فسخنا الخطبة».

«فهمت».

ورمت السيدة العجوز بنظرة خاطفة ففوجئت بها بتبسم ابتسامة طفيفة لم تحل من بعض السخريه فعضت سامنتا على شفتها وقد هددت الدموع بالانهمار من جديد لكنها سمعت السيدة تقول لها:

«اني آسفة يا عزيزتي ولكن يا لغرابه الصدف من جديد. ولا يسعني الا ان ابتسم لهذا الشيء».

«الصدف؟».

«الست مصيبة في افتراضي انك اختلفت مع السيد فوستر الابن؟».

«نعم. اختلفنا».

«وانا ايضاً اختلفت مع شارلز حين كنا مخطوبين واتيت الى هذا المكان لأختبئ».

«فهمت الآن بيدولي اننا في خلاف دائم هذه الأيام ولم نكن هكذا من قبل».

هذه علامة طيبة نوعاً ما. انهما تعرفان بعضكما منذ زمن بعيد.

«ليس كذلك؟».

«منذ زمن بعيد جداً - اعرف بارني منذ كنت في الثالثة من عمري وهو كان في الحادية عشر».

«مثلي انا وشارلز - انتقلت عائلتي الى منزل قريب من بيت آل كولنز حين كنا انا وشارلز في التاسعة من عمرنا وكبرنا معاً نوعاً ما».

تفحصت سامنتا وجه المرأة الرقيق والهاديء وفكرت انها وجدت اخيراً من يفهم حالتها النفسية لمرورها بظروف مماثلة وسألتها:

«هل كنتم تتجادلان كثيراً؟».

ابتسمت استر كولنز ثم اعترفت قائلة:

«كالكنة والحماة مما اذهل الجميع اذ كنا نتفق تماماً حول كافة الأمور حين كنا اصغر سناً وما ان نضجنا قليلاً حتى تحولت علاقتنا فلم تعد مجرد علاقة بين اخ واخته بل بدأت الخلافات بيننا ولقد اغاظني يوماً الى درجة حملتني للهرب والمجيء الى هذا المكان للاختباء بعض الوقت وصرف المسكين شارلز جهداً حثيثاً حتى عثر علي».

نظرت الى سامنتا بعينين فاضتا لطفاً وتفهماً ثم سألتها:

«هل انت الآن في الوضع ذاته يا عزيزتي؟ هاربة؟».

«نعم. لكن حالتي كانت اسوأ من حالتك... هل كنت سعيدة في حياتك يا سيدة كولنز رغم انك كنت تعرفينه لفترة طويلة قبل الزواج، هل كنت حقاً سعيدة معه؟».

«كنت سعيدة جداً جداً يا سامنتا لأننا كنا نعرف بعضنا معرفة وثيقة حين تزوجنا وهذا نادر حصوله في حالات الزواج الاخرى. لم يكن هناك نواح مخبأة في طبعينا. لا نزوات ولا فضائل سرية تضطرننا الى مجاہبتها لاحقاً. كنا قد نخطينا كل هذه العقبات قبل الزواج وقد ساعدنا هذا كثيراً».

«اصدقك. لكن بارني مختلف. فهو... فهو يحب النساء. لا

اعني بذلك أنه يقيم علاقات جنسية معهن كيفما اتفق لا. لا تظني هذا ارجوك لكن...».

ضحكت رفيقتها بصوت ناعم وهزت رأسها قائلة:

«اذكر انه رجل وسيم للغاية وانتوقع ان يجذب عدداً وافراً من النساء كحالك انت مع الرجال يا عزيزتي، ولا سبب للخجل من هذا الأمر لكنني اعرف انه يصعب على المرء تقبله حين يكون شاباً ومغروماً».

«ليتني اعرف ما العمل».

«هل يساعدك ان تخبريني عنه».

«ربما».

تعجبت سامنتا للسهولة التي لاقتها في البوح للسيدة اللطيفة بكل ما مرت به اثناء رحلتها الحالية من دون ان تشعر بالمرارة كما من قبل. حين انتهت من قصتها التزمت استر كولنز بالصمت ثم تنهدت وهزت رأسها قائلة:

«يا لعناء الرحلة التي فرضتها على هذا الشاب المسكين».

ثم ابتسمت مطمئنة ووافقت:

«لكنه سيعثر عليك - لا تقلقي سيجد سبيلاً للعثور عليك ان كان يحبك فعلاً».

«لكنني لست متأكدة من انه يحبني. ليتني اعرف».

ارتاحت كثيراً لحديثها مع السيدة كولنز اللطيفة وادركت ولأول مرة كم افتقدت لمسة انسانية في سني نموها وبدت لها هذه السيدة اللطيفة وكأنها مستعدة للاهتمام بها رغم كونها لم تلتق بها الا مرة واحدة منذ سنوات عديدة.

تحدثتا كثيراً عن زيارات السيدة كولنز السابقة لقرية بونس برفقة زوجها وعن وجبات الطعام الشهية التي تقدم لهما وادركت سامنتا انها

ارتاحت كثيراً لهذا النهار الذي قضته وفقاً لتطلعاتها. ولم يزعجها سوى انها وجدت نفسها في حال انتظار مستمرة لوصول بارني وحين لم تره على العشاء ايقنت انه ربما لن يأتي ابداً.

نظرت اليها السيدة كولنز اثناء تحريكها للسكر في قهوتها وسألتها: «هل من اثر لصاحبك الشاب».

هزت سامنتا رأسها وقالت:

«لا تنصوري ان اتوقع قدومه. فهو وعدني انه سيحطم عنقي ان هربت منه مرة اخرى لكني اعتقد انه فهم قصدي اخيراً».

«قصدي؟»

«نعم. اي اني اريد الانفراد بحالي ولا اريد رؤيته».

«آه. فهمت. لقد كلفت نفسك عناء شاقاً لافهامه هذا الشيء».

«حاولت المستطاع. آمل ان يعود الى البيت ويتركني وشأني».

«وماذا ستفعلين انت عندئذ؟»

فوجئت سامنتا بسؤالها وقالت:

«انا؟»

«نعم. انت. هل ستعودين الى البيت ايضاً؟»

كانت تشعر برغبة جامحة في العودة الى البيت لكنها ادركت انه لن يسهل عليها ذلك خاصة اذا كان بارني قد سبقها اليه مؤكداً بذلك

انتهاء العلاقة بينها وسوف تلاقي صعوبة جمة في مواجهة الجميع.

عمها نيكولاس وعمها روبرت وحتى بارني ولن تعود الأمور الى سابق

عهدا ابداً. وقالت فيها احست بثقل كبير يضغط على صدرها:

«اعتقد اني سأعود، نعم طبعاً سأعود».

جلست في البهو تنظر الى التلفاز من دون ان ترى اي شيء

وقررت الصعود الى الفراش حين انتبهت الى وصول بعض المسافرين

فوقفت في الباب تراقبهم جامدة كالحجر واذا ببارني يجري امامها. نظر اليها وقد سطعت عيناه كالجمر في دكنة الممر لكنه لم يتسهم وقال:

«مرحباً يا سامنتا».

انتابها ذعر شديد حين رأت برودة استقباله ولم تستطع التفوه الا بكلمة:

«مرحباً».

ظهرت باتسي غوردن خلفه وقد بدا عليها التعب الشديد فيما كان ادوارد وارن مقطب الحاجبين لكنه استطاع ان يتسهم لها حين خاطبها قائلاً:

«مرحباً يا سامنتا».

تجاهلت الفتاة الشقراء وحيث ادوارد ثم اعتذرت قائلة:

«عفواً اني اسد المدخل».

خيم سكوت ثقيل على الجو بينهم للحظة ثم تقدمت باتسي غوردن وتوجهت الى البهو من دون ان تبسّم واعتذر ادوارد ثم لحق بها تاركاً سامنتا وبارني وجهاً لوجه في نور الممر الخافت وسمعته يقول لها:

«اعلرني انا ايضاً».

وتوجه بدوره الى البهو تاركاً سامنتا مدهوشة لا تستطيع الحراك.

«بارني».

التفت ونظر اليها متسائلاً من دون ان يظهر اي اثر لابتسامة على ثغره او في عينيه حتى انها شعرت وكأنها في حضور رجل غريب وقالت له بسرعة:

«انا سعيدة بمجيئك».

«لن امكث هنا بل توقفت في طريقي الى البيت».

«آه بارني اني...».

«هل كنت تهمين بالصعود الى الفراش . لا تدعيني اعيقك» .
«اني . . .»

«طابت ليلتك يا سام» .

استدار ودخل البهو ثم اقفل الباب وراءه .

وقفت سامنتا في مكانها لحظات مدهوشة وقد اذهلتها سرعة تتابع الاحداث وشعرت بالدموع الغزيرة تتدفق على خديها فهرعت الى غرفتها . ادركت ان بارني قرر الرضوخ اخيراً لرغبتها والتوقف عن محاولاته لاقتناعها بالعدول عن قرارها بعدم الزواج منه وقد انزل بها هذا التحول المفاجيء صدمة عنيفة» .

خلعت ملابسها واستلقت على الفراش ثم دفنت وجهها في الغطاء لكتم تنهداتها وراحت تنصت لا شعورياً الى قرع محتمل على بابها لكن دون جدوى . سمعت لاحقاً بعض الاصوات والهمس في الممر فجلست تصغي اليها الى ان اختفت ثم زالت نهائياً . لم تتوقع ان تنام لكنها نامت وأفاقت في الصباح التالي والشمس قد اشرقت منذ زمن .

اختارت لا شعورياً فستانها الأخضر الفاتح الذي يحبه بارني وصفقت شعرها بالأسلوب الذي يفضلها . كان منظرها جميلاً جداً حين دخلت قاعة الطعام وابتسمت لها السيدة كولنز باعجاب ثم قالت :

«ها قد لحق بك شابك كما توقعت انه سيفعل» .

هزت سامنتا رأسها وقالت :

«ليس فعلاً كما توقعت . فهو في طريقه الى البيت ولم يأت بمفرده ايضاً» .

«هل تعين الرجل والمرأة اللذين قدما برفقته ليلة البارحة» .

«نعم انهما الشخصان اللذان اخبرتكَ عنهما» .

«لقد غادرا باكراً» .

«لقد! لقد غادرا الفندق» .

«نعم . تناولوا الافطار باكراً ثم رحلا في ثياب المشي رأيتهما من نافذة غرفتي» .

«آه فهمت» .

ثم نظرت اليها وقد اتسعت عيناها خوفاً وسألته متوسلة :

«وبارني؟» .

«اطمئني فهو لا يزال هنا فلم ينزل لتناول افطاره بعد . هل مستعودين برفقته الى البيت يا عزيزتي؟» .

كان بود سامنتا ان تعرف الجواب لهذا السؤال لكنها هزت رأسها ببطء وقالت :

«قد لا تسنح لي الفرصة . اخشى ان تكون الأمور قد تغيرت يا سيدة كولنز» .

«تغيرت . . . لا يمكن ان تكون تغيرت كثيراً يا عزيزتي . فبارني موجود هنا وهو في طريقه الى البيت ويتوقع حتماً ان يأخذك معه» .

«لا اظن ذلك» .

كان من الصعب عليها مواجهة الواقع الأليم لكنه واضح بعد ليلة البارحة ان بارني لم يعد مهتماً بما تفعله او تقوله .

كانت على وشك التكلم حين رأت بارني يدخل ويحييها ببرودة مؤدبة ثم يجلس الى طاولة منعزلة وينهمك بلائحة الطعام . لاحقته السيدة كولنز بنظرها وتفحصته بتمعن لبرهة ثم التفتت نحوها وابتسمت قائلة :

«لا تحملي الأمور محمل الجد . كل شيء سوف يسير على ما يرام» .

«كلا . انا اعرفه يا سيدة كولنز فهو عنيد جداً وان كان قد قرر انه انتهى من علاقته بي فسوف ينفذ قراره» .

ابتسمت السيدة بلطف وكأنها تسألها عن ردة فعلها ثم قالت:
«ولكن ألم تجربيه ان هذا مطلبك؟ لا يمكنك لومه اذن ان كان
يتقيد بكلامك. اليس كذلك؟».

«آه. لست ادري ما العمل الآن. اتنى لو لم آت ابداً الى هذا
المكان بل ان اكون قصدت البيت مباشرة عند عمي نيكولاس».
«انت مضطربة جداً الآن وهذا طبيعي ولم تأكلي اي شيء. لماذا لا
تتناولين بعضاً من هذا الطعام الشهى ثم تقومين بنزهة هادئة وجميلة
على ضفاف البحيرة بين الاشجار؟».
«لا اريد اي طعام».

هزت السيدة رأسها وابتسمت بلطف وقالت:
«تجويد النفس بسبب الحب، من العادات القديمة والسخيفة يا
عزيزتي».

بسبب الحب، ألقت سامنتا نظرة على ملامح بارني الداكنة فيما
جلس وكأنه غير معني ابداً بالأمر وعضت على شفتها بيأس. فأت
الأوان الآن لتكتشف انها واقعة حقاً بحب بارني.

أخبرتها السيدة كولنز ان لديها بعض الرسائل للكتابة ولن تستطيع
مرافقتها في نزهتها لكن سامنتا كانت تفضل الذهاب بمفردها.
أذهلها ما لمستته من حقيقة شعورها نحو بارني رغم انها أدركت انه
كان بوسعها الانتباه الى العلامات الداكنة والتعرف عليها منذ وقت
طويل اما الآن فقد فات الأوان.

راحت تمشي ببطء وتقذف الأوراق المتساقطة بقدمها وتتأمل
صفحة الماء بتأثير النسيم المتعش وفكرت انه لا يحق للمرء الا يكون
سعيداً في موضع رائع الجمال كهذا.

جلست على احد المقاعد الخشبية تمزق اوراق غصن التقطته وتنظر
الى الافق محاولة ايجاد حل لمشاكلها. لم تمر الوقت انتباهها الى ان

لاحظت فجأة وجود شخص على مسافة ثلاثين او اربعين متراً وقد
اتكأ على احد الاشجار وراح يقذف بالحصى في الماء.

حدقت به غير مصدقة وقلبها يخفق بسرعة جنونية ثم نهضت
بسرعة واتجهت نحوه. وحين اقتربت منه فوجئت به يستقيم ويبدأ
بالسير بالاتجاه المعاكس دون ان ينظر اليها.

«بارني».

استدار ببطء وحدقت بها عيناه الداكنتان من غير ان ترجبا بها
ابداً. انتظر بصمت لحظة وصولها اليه فوقفت مترددة ترتعد فرائصها
وقالت:

«مرحباً».

وشعرت بثقل دموع البارحة في جفونها حين نظر اليها قائلاً:
«مرحباً يا سام!».

أدركت سامنتا انه غير راغب في مساعدتها وغار قلبها:
«اني... قالت لي السيدة كولنز ان ادوارد وياتسي غادرا الفندق
في الصباح الباكر».

«هذا صحيح».

«هل قررا العودة الى المنزل سيراً على الاقدام؟».

«نعم».

انكمشت يداها لا شعورياً وقد بدأت تنزعج لبرودته:

«لا اظن ان باتسي سرت بهذا المشروع».

«لم تكن مسرورة لكنها تفضله على خسارة ادوارد».

انتبهت الى المعنى المبيت في تلميحه فنظرت اليه بسرعة وجوبت
ببرودة عينيه القاسية:

«بارني... هل تعرف سبب رحيلي؟».

«لقد رحلت. وهذا يكفي!».

شعرت سامنتا ان المسألة فقدت من أهميتها الآن ولم تكتسب أهمية وقتها الا لكونها واحدة ضمن سلسلة من الكوارث حلت بها تباعاً .
«كانت تعرف اني شاهدها عائدة من المبنى حيث غرفتك وكانت تعرف ايضاً اني لن اخبر ادوارد كي لا يؤذيه فاستغلت الفرصة لاذلا لي ولم اعد استطيع التحمل» .
«هل شعرت بالغيرة؟» .

نظرت اليه لاستنكار ما قاله لكنها سارعت الى اخفاض عينيها مجدداً معترفة بصحة افتراضه فانتبهت الى انه عاد الى ابتسامته المألوفة وسمعته يسألها بصوت ناعم :
«هل كنت في غرفته؟» .
«اومأت ايجاباً» .

«لماذا؟ او يجدر بي الا اسألك عن السبب؟» .
«طبعاً يمكنك ان تسألني - ظننت اني دخلت غرفتها وكنت عازمة على . . . على التكلم معها ولم ار سوى شعاع نور تحت باب الغرفة رقم ثلاثة فدخلت» .
«وجدت نفسك في غرفة ادوارد» .

ادركت انه بدأ يضحك فرمته بنظرة غاضبة وقالت :
«لا ارى ما يدعو الى الضحك يا بارني كدت ان اموت لشدة ارتباكك ثم وصلت باتسي وازدادت الأمور سوءاً» .
«اعرف شعورك» .

«تعرف - وكيف يمكنك ان تعرف؟ انا رأيت باتسي غوردن عائدة من ميناءك تتسلل وكأنها لص . وقد اعترفت انها كانت هناك وكانت فخورة بذلك» .
«فاجأتك داخل غرفة ادوارد لكن لم يكن في نيتك ان تكوني فيها اليس كذلك؟» .

«لكنك يجب ان تعرف السبب» .
«يجب؟ اعرف انك جعلت ادوارد وارن يساعدك على الهرب من دون علمي واعرف كذلك ان باتسي غوردن فاجأتك في غرفته في الواحدة صباحاً . اظن ان هذا سبب رحيلك» .
«حدقت به سامنتا مذعورة وغاضبة في الوقت ذاته» .
«هي اخبرتك ذلك؟» .

اكتفى برميها بنظرة خاطفة وكأنه يتحداها ان تكذب الخبر .
«وصدقت كلامها . طبعاً تصدق كلامها فانت تحكم علي من خلال افعالك انت» .
ادركت ان كلامها حرك فيه اخيراً وترأ حساساً وسألها :
«ماذا تقصدين؟» .

تلايلات الدموع في عينيها وانقبضت يداها بقوة ثم قالت :
«لقد رأيتها» .
سكت لبرهة ثم مد يده وكاد ان يلامس خدها لكنه سحبها في آخر لحظة وقال :
«لقد رأيتها؟ وهي تغادر المبنى حيث غرفتي؟» .

اومأت ايجاباً وعجزت عن التكلم لتألمها من تلك الذكرى وسمعته يقول لها :
«هل هذا سبب رحيلك؟» .

«اومأت من جديد ودموعها على وشك الانهيار ثم قالت :
«وفي الصباح التالي كنت قد حققت رغبتها في اعادة ترتيب طاولة الافطار فما عدت استطيع الاحتمال» .
«لكنني لم اقم انا بالترتيبات بل ادوارد . هو الذي طلب ان يعاد ترتيب الطاولتين . وليس انا» .
«لم اعلم بهذا الشيء» .

«طبعاً لا».

«ولماذا لا تمنحيني شهادة براءة الذمة نفسها».

«آه بارني. اود ذلك. لا اريد التصديق انك كنت معها. عجزت عن النوم في تلك الليلة لشدة تعاسي».

مد يده مجدداً ولمس خدها بلطف فادارت وجهها ولا مست انامله القوية وسمعتة يقول:

«انت تطرق بابي وحين ادركت انها هي طردتها. ظننت للحظة ان الطارق انت».

نظرت اليه سامنتا وشعرت برعشة تعترها وقالت:

«هل كنت طردتني لو طرقت انا بابك؟».

«طبعاً - الا تدرين اني انسان طاهر وشريف؟».

«آه بارني».

«آه سامنتا».

اقترب منها وضمها بين ذراعيه ولا مست شفتاه جيبتها وعينيها بلطف لكنها همست:

«قد يرانا احد».

«ان رأتنا صاحبك السيدة كولنز فهنئاً لها».

ثم ضحك حين نظرت اليه متسائلة:

«ماذا تعني؟».

«اعني انها اخذت مشروع سعادتك على عاتقها لا شك في انك اخبرتها عن مغامراتنا بالتفصيل وقد علمت ان العم نيكولاس يوافيني باخبارك ويمكن وجودك».

«أجل، لقد اخبرتها. كنت بحاجة للتحدث الى شخص ما وكانت لطيفة جداً معي ومتفهمة وهي تعرفنا ايضاً. لقد تذكرتني رغم انها لم ترني منذ زمن بعيد».

«اعرف ذلك فهي خابرت العم نيكولاس واخبرته انك هنا علماً منها انه سوف يطلعي بالخبر وقد سر للحصول على بعض المعلومات عنك. ومنذ لحظات قليلة انت الي بعد ان تأكدت انك تتنزهين خارجاً وحدثتني عن الماضي واشارت بدهاء متناه الى انك تتمشين بين الاشجار في هذا المكان».

«آه. وكنت عازماً الا تكلمني اليس كذلك؟».

ضحك ثم قال:

«اجل. قررت انه حان الوقت كي اعاملك بالمثل وان اهرب منك. هل احببت ذلك؟».

رمت سامنتا بنظرة معاتبة ثم قالت:

«كلا لم احب ذلك ابداً».

«تعرفين الآن بماذا شعرت طيلة هذه الرحلة».

«اني - اني آسفة».

ضحك بارني ثم قبل طرف انفها وقال:

«اعرف انك آسفة».

كانت تشعر بسعادة متناهية وهو يضمها الى صدره ونظرت اليه تسأله:

«بارني اما زلت تريد الزواج مني؟».

«الا اذا كنت تفضلين العيش في الخطيئة؟».

«كلا اريد ان نتزوج».

«حسناً. لا يزال امامنا متسع من الوقت قبل الثاني عشر من الشهر. كنت متأكداً اننا مستفق عاجلاً أو آجلاً وكان بإمكانك ان تبقي في المنزل».

وابتسمت ثم هزت رأسها وقالت:

«لولا زمت المنزل لما كنت تعرفت على بيل وبيرت وادوارد وما كنت

ادركت اني افضلك عليهم جميعاً. اضافة الى اني سررت لتجميعي بعض المعجبين ايضاً.

«لقد جعلتني امر بلحظات قاسية جداً اثناء تكوينك لمجموعتك هذه وسوف اضطر الى مراقبتك عن كثب في المستقبل لتدارك تكرار حالتك».

«لن تعاودني هذه الحالة ابداً يا حبيبي».

«ارجو الا تعاودك. لكنني سأحاول جهدي الا ادفعك في المستقبل الى التصرف بهذا الشكل».

«يمكنك مثلاً ان تكف عن معاملتي وكأنني عبدة بين يديك».

وضمها الى صدره بلهفة ثم همس في اذنها:

«لن اعاملك هكذا ابداً يا حبيبي، ابداً».